جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية –
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم اللغة والأدب العربي
السنة الثانية ماستر

عنوان المذكرة

صورة المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية "حكاية حبّ حبّ الرّمان" أنموذجاً

مذكرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر

من إعداد الطالبتين:
حجريوة أمال
قريشي ليزة

إشراف الأستاذ:
سعيد إباون

السنة الجامعية 2013/2012

شكر و عرفان

بفضل الله وعونه تمكنا من الانتهاء من هذا العمل المتواضع الذي نتمنى أن يكون ذو فائدة للأجيال القادمة، شكرا لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث، شكرا للأستاذ المشرف الذي ساعدنا بكل ما استطاع، شكرا وألف شكر لأنكم ساعدتمونا ولو ببسمة، ولو بدعاء.

إهداء

إلى التي كانت السبب في وجودي في هذا المقام بدعائها و صلواتها أمي الغالية

إلى الذي منحني الثقة و الاستقرار أبي العزيز

أطال الله في عمركما

إلى كل أفراد أسرتي:إخوتي و أخواتي و أبنائهم.

الى الكتكوتتين "هبة الرحمان و دعاء رحمة".

الى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث المتواضع، الى أختي" مريم" أقول لها شكرا لأنك كنت معي.

الى رفيقة في الدرب و صديقة الغرفة"F212" "فاطمة الزهراء" التي كانت خير سند لي.

الى رفيقتي و أختي في البحث"ليزة".

إلى كل من ساهم معي، إلى كل من دعا لي، إلى كل من بفضلهم كنت هنا، أخي "عبد الغني" خاصة.

شكرا و ألف شكر لكم جميعا.

أمـــال

إهـداء

إلى نبع الحنان والحب أمي الغالية

إلى الذي منحني القوة للاستمرار بثبات أبي الغالي

مد الله في عمركما

إلى أخواتي و إخوتي "سليم و ريان"

إلى أغلى هبة من الله زوجي العزيز "شعبان" حفظه الله و رعاه.

إلى قرة عيني و أملي في الحياة ابنتي الحبيبة "إريام".

إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي في إنجاز هذا البحث أقول لكم شكرا.

ليـــزة

الحكاية الشعبية هي تعبير عن سلوكات ومعتقدات أي أمة من الأمم، فهي تحمل بين طياتها نظرة المجتمع الجزائري قديماً إلى الحياة، بكل ما فيها، وبكل مواضيعها، وأدق تفاصيلها، والمرأة من بين المواضيع الكثيرة التي كانت عنواناً للحكاية الشعبية، بكل حنانها وطيبتها وحبها وأملها، وغرورها وغيرتها فحيكت أجمل الحكايات عنها.

اخترنا موضوع "صورة المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية"، كبحث لمذكرة تخرّجنا بعد طول تفكير وتنقيب، ومساعدة من الأستاذ المشرف، فعلى الرغم من أن هذا الموضوع قد تناوله العديد من الباحثين، وفي مجالات عدة، في الشعر والرواية، لكن قليلة هي الدراسات عن المرأة في الحكاية الشعبية، لذا حاولنا أن نعطي ولو لمحة عمّا كان يفكر به المجتمع الجزائري عن المرأة ونظرته إليها.

وسعينا في هذا البحث للإجابة عن جملة من الأسئلة من بينها: ما معنى الصورة الأدبية؟ وما هي مجالات دراستها؟ من هي هذه المرأة؟ كيف تجسدت المرأة في الحكاية النموذج؟ هذه الأسئلة وأخرى سنحاول البحث فيها من خلال صفحات هذا البحث. ولدراسة هذا الموضوع والكشف عن الزوايا الغامضة فيه، ارتأينا أن نختار المنهج النفسي، لأننا نظن أنّه المنهج الذي سيساعدنا على معرفة الأطوار العميقة لنفسية المرأة، وما الذي يميزها ويميز شخصيتها؟.

ولقد اخترنا الخطة التالية لمعالجة هذا الموضوع:

مقدمة.

الفصل الأول: ماهية الصورة الأدبية.

1. تعريف الصورة الأدبية.

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

2. الصورة الأدبية في الأدب.

أ. الصورة في النثر.

ب. الصورة الشعرية.

3. الصورة الأدبية في الدراسات المقارنة.

الفصل الثاني: المرأة من هي؟

1. أوصاف المرأة.

أ. المرأة الجسد.

ب. المرأة الأنثى.

2. المرأة في المرأة في إطار الأسرة.

أ. الفتاة قبل الزواج.

ب. المرأة الزوجة.

ج. المرأة الأم.

3. غيرة المرأة.

4. أقوال عن المرأة.

الفصل الثالث: تجلي صورة المرأة في حكاية "حبّ حبّ الرّمان"

1. الحكاية.

2. دلالة العنوان "حبّ حبّ الرّمان".

3. صورة المرأة في الحكاية.

أ. صورة الأخت.

ب. صورة الزوجة.

ج. صورة الأم.

4. تقاطع حكاية "حبّ حبّ الرّمان" مع حكاية "أبوذميم أميمي".

أ. الحكاية (أبوذميم أميمي).

ب. أوجه التشابه.

ج. أوجه الاختلاف.

الخاتمة.

وكأي بحث أكاديمي لم يخل بحثنا من الصعوبات والعراقيل، فقد واجهتنا بعضها، أهمها الافتقار للمصادر والمراجع ، ولكن تجاوزناها بفضل الله عز وجل.

في آخر المطاف نريد أن نشكر الأستاذ المشرف "إياون السعيد" الذي كان لنا نعم السند والعون، فشكراً لك سيدي الفاضل، أدامك الله وحفظك ذخراً للعلم والمعرفة.

تمهيد

الحكاية الشعبية هي "**أحدوثة يسردها راوية من جماعة من المتلقين، وهو يحفظها مشافهة عن راوية أخرى، ولكنه يؤديها بلغته، غير مقيد بألفاظ الحكاية، وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها ومجمل بنائها العام**"[1].

هذا يعني أن الحكاية الشعبية مأخوذة من الواقع المعاش، أو بتعبير آخر هي عبارة عن أفكار ومعتقدات مجتمع معين، فالحكاية الشعبية ما هي في النهاية إلا تعبير عمّا يؤمن به أفراد المجتمع، والراوي عادة لا يتقيد بطريقة الحكي وألفاظه، لأن لكل راوي طريقته الخاصة في حكي الحكاية، ولكنّه يظل يحتفظ بشخصيات الحكاية وترتيب أحداثها.

شخصيات الحكاية تكون "**واضحة محددة، وهي على الأغلب شخصيات نمطية، تتحدد بموقفها في الأسرة، أو بمكانتها في المجتمع، كالأب والابن والزوج والكنّة والحماة، أو كالملك والوزير والتاجر، والسّياف والخادم والفقير، ولا توصف الشخصيات، ولا تتحدد ملامحها الجسمانية أو النفسية، إلا إذا كان فيها عيب، عور أو عوج أو قصر، مثلاً، أو بخل وجبن أو خبل، وغالباً ما يكتفي بصفة واحدة، تتحدد بها الشخصيات**"[2]. أي أن هذه الشخصيات متصلة دائماً بالواقع، فلا تخرج الحكاية الشعبية عن إطار المجتمع، لأنها تعبّر جوهر التجربة الإنسانية، والعلاقات بين أفراد المجتمع، لأن الحكاية الشعبية تحمل ثقافة شعب بأكمله، فهي مرجع يمكن أن نعرف من خلاله ماذا كان يفكر الإنسان قديماً، كيف كان ينظر إلى الأمور والأشياء؟ وكيف كان يعالج المشاكل ويحلها؟ على ماذا يعتمد في عيشه؟ كيف كان ينظر إلى نقطة هامة وحساسة؟ وكيف كان ينظر إلى المرأة؟.

---

[1]- أحمد زياد محبك، دراسات نقدية: من الأسطورة إلى القصة القصيرة، ط1، منشورات دار علاء الدين، سوريا، 2001، ص، 45.

[2]- م.ن، ص، ن.

المرأة مخلوق ضعيف حساس، مخلوق يجعل حياة الرجل جميلة، ولكن قد تكون لها قوة داخلية تُكسبها القدرة على التحمل، فالمجتمع الجزائري في الماضي كغيره من الشعوب، ينظر إلى المرأة على أساس واحد، على أساس أنها إنسان يجب الحرص عليه والخوف منه، فنرى بأن الحكايات الشعبية الجزائرية مليئة بصور عديدة للمرأة، فتكون لها أدوار عديدة، بشخصيات عديدة، فتكون الأخت المحافظة على شرف العائلة، والابنة التي تتقيد بتقاليد المجتمع، والزوجة الشريرة التي تفتعل أي شيء لإرضاء غرورها وأنانيتها، والأم التي تكون المثل الأعلى للأولاد، وأمثلة هذه الحكايات كثيرة، فلا تخلو حكاية من وجود المرأة، فالمرأة هي التي تعطي للحكاية مسارات واحتمالات كثيرة.

ونجد في الكثير من الأحيان مواضيع الحكايات الشعبية عن العلاقات الأسرية، فنجد الصراع الذي يوجد في البيوت الجزائرية، كالصراع بين الزوجة وأم الزوج، فتصور بطريقة مشوقة تعطي نظرة المجتمع لهذه العلاقة، وكيف أن الزوجة تريد التحكم في زوجها ومحاولتها جاهدة لجعل زوجها يكره أمه، فتتقمص دور الضحية، والأم التي تصّور زوجة ابنها على أنها عقرب وتعطي لها نعوتاً كثيرةً، وتحاول أن توقع بين ابنها وزوجته، وأمثلة هذا الحكايات الشعبية كثيرة وعديدة.

يبقى للمرأة الدور الكبير في الحكايات الشعبية، وموضوع هام ورئيسي، وبدونها تكون الحكاية جافة خالية من الانفعال، فالمرأة بكل أدوارها، وبشخصياتها المختلفة في الحكاية يجعلنا نقترب من فهم المرأة بشكل عام، ومحاولة تجنب الشريرة، ومحاولة قدر المستطاع الحصول على امرأة متفهمة.

الفصل الأوّل:

ماهية الصّورة الأدبية

الصورة مصطلح أسال الكثير من الحبر، فقد تناوله العديد من النقاد والدارسين، ودُرس في ميادين عديدة، فهناك الصورة الأدبيّة في الشعر أو الصّورة الشعرية التي تقابل الشكل في النّص الأدبي، إضافة إلى أن الصورة الأدبية قد دخلت ميدان الدراسات المقارنة، فأصبحت هذه الصورة تتناول مسائل حول ثقافات أخرى، أو صورة الأنا بالمقارنة مع الآخر.

1. تعريف الصورة الأدبية:

أ. لغة:

هناك العديد من التعاريف اللغوية لمادة صَوَّرَ، ولكن ارتأينا أن نختار التالي:

"**صَوَّرَ: في أسماء الله تعالى: المَصَوّرُ: وهو الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصّة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها والصورة في الشكل، والجّمْعُ صُوَر وصوَر وصُوْر، وقد صَوَّرَهُ فَتَصَوَّرَ، وتَصَوَّرْتُ الشيء: تَوَهَّمْتُ صورته فَتَصَوَّرَ لي، والتَّصاوير: التماثيل، ورجل صَيّر: حسن الصورة، وَصَارَ الرّجل: صَوَّتَ**"[1].

واخترنا من التعاريف اللغوية الكثيرة أيضاً:"**صَوَّرَ، يقال: صَوَّرَ الشيء: أي جعل له صورةً وشكلاً، وكذلك يقال: صيَّارُ – صوراً ومنه عن أبي عليّ المثل بناه وصَلَّبَ فيه، وصار مشيراً إلى الكنيسة أو المعبد**"[2].

نلاحظ أن مادَّة صَوَّر الأولى لها تقريباً نفس المعنى بالنسبة لمادة صّور الثانية، مع اختلاف في بعض الاشتقاقات والمعاني.

---

[1]- أبي الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب: تهذيب لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص، 45.

[2]- حنا غالب، كنز اللغة العربية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2003، ص، 26.

ب. اصطلاحاً:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للصورة الأدبية، سنحاول أن نذكر بعضها، لفهم واستيعاب هذا المصطلح.

الصورة الأدبية هي "**ما ترسمه لذهن المتلقي كلمات اللغة شعراً ونثراً، من ملامح الأفكار والأشياء والمشاهد والأحاسيس، والأخيلة وتكون إمّا فكرة نقلية تقريرية ترسم معادلها في أخصّ خصائص الواقعية، وإمّا معادلاً فنّياً، جمالياً يوحي بالواقع، ويومئ إليه بأشباهه من الرسوم واللوحات عن طريق الحشد الإيقاعي، وسائر ضروب الإيحاء البلاغي والبديعي والصّياغات التشكيلية والتقنيات الأسلوبية واللغوية المختلفة**"[1].

بمعنى أن الصّورة الأدبية هي ذلك الخيال الذي يرتسم في ذهن المتلقي أو القارئ عند قراءته لنّص أدبي ما، أو ديوان شعري، والصّورة تحيل إلى الواقع، فالنص الأدبي عادة يكون مأخوذ من الواقع المعاش أو من التجربة الشخصية للكاتب أو الشاعر، لذلك فهو ينقل لنا صورة المجتمع بما فيه من تغيرات وتطوّرات، ويستعين في ذلك بالكلمات الواقية والأساليب المبّرة والموحية، لكي يصل إلى هدفه، وهو أن يستطيع المتلقي الوصول إلى الصّورة التي يحاول الكاتب التعبير عنها.

ويعرّف باوند الصّورة الأدبية بقوله:"**تلك الحقائق التي تمثل مركباً بين العقل والعاطفة في لحظة من لحظات الزمن**"[2]، بمعنى أن الصّورة الأدبية لدى باوند هي مجموعة من الحقائق والمسلّمات تمتزج فيها العواطف والأحاسيس بالعقل والواقع في حقبة زمنية محدّدة، والموضوع الذي يكتب فيه الكاتب، أو ينظم فيه الشاعر قصيدة، يكون مستوحى من الواقع، ويمزج فيها عواطفه وأحاسيسه، ليكوّن صورة أدبية.

---

[1]- إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي- انجليزي- فرنسي، ط1، دار العلم للملايين، 1987، بيروت، ص، 247.

[2]- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، دط، دار هومة، الجزائر، 2003، ص، 313.

لقد كان هدف الصّورة إعطاء صورة لمتخيل ما، أو واقع وحادثة ما، ومحاولة شرحها ومنحها دلالة معينة، أمّا الصّورة الحديثة فلشلوفسكي كلام آخر فيها، فهو يقول:"**ليس هدف الصّورة تقريب فهمنا من الدلالة التي تحملها، ولكن هدفها هو نظرة معينة للشيء وخلق رؤيته وليست تعرفه**"[1]، بمعنى أن الصّورة الحديثة لم تعد كما كانت تُعنى بإيصال الفكرة أو الموضوع للمتلقي، بل أصبح الكاتب أو الشاعر يعطي رأيه أو رؤيته للموضوع.

2. الصورة الأدبية في الأدب:

أ. الصورة في النثر:

الصورة هي عنصر بارز وأساسي في الكتابات النثرية (الروايات والقصص) وهي "**التعبير بأسلوب جميل عن عاطفة الأديب، سواء كان عنصر الفكر هو العنصر البارز، أو عنصر العاطفة هو الأوضح، والصّورة- في رأي بعض النقاد- هي الشكل في النّص الأدبي، وتقابل المضمون الذي هو الفكرة أو المعنى في النّص، فعلى هذا تكون الصّورة التي هي الشكل في النّص الأدبي، شاملة للعبارة، أي الأسلوب، وللخيال الذي يلون العاطفة ويصوّرها، وعندئذ نقف بين الشكل والمضمون في النّص، فيجب على الأديب أن يوازن بينهما موازنة دقيقة، فلا يطغى المضمون على الشكل، أي الصّورة، وإلا خرج الكلام من باب الأدب إلى باب العلم، ولا تطغى الصّورة على المضمون وإلا كان الكلام أدبياً لفظياً لا قيمة له في باب الفكر، وحينئذ يجب أن يهتم الأديب بالمضمون أو الفكرة كما يهتم بالصّورة التي هي الشكل، وهي بهذا المعنى تقوم على الوحدة التي تبنى على الكمال والتآلف والتناسب**"[2]، بمعنى أن الصّورة النثرية في نظر بعض النقاد هي الشكل الخارجي للنّص الأدبي في مقابل مضمون النّص،

---

[1]- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص323.

[2]- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1995، ص55.

فالشكل هو الهيأة والصورة التي يكون عليها النّص الأدبي، أو الصورة هو القالب (الشكل) الذي يحمل أفكار الأديب بأسلوب راق وجميل، موظّفاً عنصر الخيال الذي يحيل الكاتب من خلاله القارئ إلى تخيّل تلك الصّورة التي يحاول الأديب نقلها إلى المتلقي، ممتزجة بالأحاسيس والمشاعر التي تضفي الجمالية على النّص الأدبي.

والصّورة التي تترك أثراً في ذهن المتلقي، هي تلك الصّورة التي يستطيع من خلالها الكاتب أو الأديب التعبير عن التجربة الشخصية، فهو الوحيد القادر على تصوير حالته النفسية لأنّ "**الصّورة المثيرة للالتفات هي القادرة قدرة كاملة على التعبير عن تجارب الأديب ومشاعره، والتي تتجمع فيها روعة الخيال والموسيقى، ووحدة العمل الأدبي، وشخصية الأديب وتخيره للألفاظ تخيّرا فنياً دقيقاً**"[1]، بمعنى أنّه لكي نقول عن صّورة، أنها تثير انتباه المتلقي، يجب أن يتفنن الكاتب في إيجاد الكلمات الألفاظ التي تستطيع أن تنقل الأفكار التي يحاول إيصالها للقارئ.

فالألفاظ والكلمات وحدها تستطيع أن تعطينا الصّورة التي يريد الكاتب رسمها، فلنتأمل في قوله جل جلاله "**فأصبح في المدينة خائفاً يترقب**"**[القصص، الآية 18]**. فهذه صّورة خائف ينتظر ما يناله من مكروه جرّاء ما فعله، وينتظر أن يرى أو يحسّ بموضع أمن يتمسّك به، والصّور كثيرة في القرآن الكريم.

وهذا مثال عن صورة استطعنا من خلال ألفاظها أن نفهمها، وحتى يمكننا أن نتخيلها، فالألفاظ المنتقاة انتقاء محكماً تستطيع إذن أن تعبّر عمّا يدور في خُلج الكاتب.

ب. الصّورة الشعرية:

[1]- م، ن. ص 56.

الشعر فن، وهذا الفن يُظهر ملكات أفراد على حساب أفراد آخرين، فلا يستطيع أياً كان أن يكون شاعراً، فالشاعر يمتلك ملكة لا يملكها كل واحد، فالشعر ذوق وإحساس وشعور وتجربة، والأسلوب هو بمثابة الركيزة التي تتركز عليها القصيدة، أما تجربة الشاعر فهي الرّوح التي تغذي هذا الأسلوب.

ومن أهّم عناصر الشعر نجد الصّورة الشعرية التي هي "**وليدة الخيال ووسيلة فنية أساسية لنقل تجربة الشاعر، ويجب أن تكون الصّورة موازية للتجربة، إذ الصّورة جزء من التجربة**"[1]، بمعنى أن الصّورة مرتبطة بالخيال، فالشاعر يعبّر عن تجربته الشّخصيّة بأسلوب راق ومميّز، فتلك التجربة لا ينقلها لنا كاملة بكل ما فيها من تفاصيل وكأنّه يروي لنا حكاية، وإنّما ينقل لنا جانباً من تجربته بألفاظ مليئة بالعواطف والمشاعر والأحاسيس.

مع كل دفقة شعورية للشاعر، ومع كل تعبير ومع كل تلاحم بين الألفاظ والكلمات وبين الشعور والإحساس يظهر بأن "**قيمة الصّورة لا تبدو في قدرتها على عقد التماثل الخارجي بين الأشياء، وإيجاد الصّلات المنطقية بينهما وإنما قدرتها في الكشف عن العالم النفسي للشاعر والمزج بين عاطفته والطبيعة**"[2]، بمعنى أن الشاعر الحقيقي الذي يمتلك الحّس الشّعري هو القادر على اختيار التعابير والألفاظ التي يراها مناسبة للتعبير عن تجربته، وليس أن يعتمد على صيغ وأساليب جاهزة، لأنّه يريد أن ينقل لنا تجربة عاشها، أو حادث آلمه أو أفرحه، فهو يعبّر عن ذاته، لا عن ذوات الآخرين، لأنه يكتب ما يحسّ به، لأن التجربة وحدها هي من تجعل الشاعر يبدع، وإبداعه يكون بأسلوب راق ومميّز.

استمدّت الصّورة الشعرية من المذاهب الغربية تراكيب جديدة، فأصبحت الصّورة تتركب من "**تراكم العلاقات الدلالية الغربيّة، من إزاحة الدال عن مدلوله الواقعي، وإلقائه في سياق مدلولات متعارضة مترابط في وحدة خيالية حلمية، تربط بين "الطائر" (الشاعر – الوطن – التاريخ والسماء المجهولة –**

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، ص60.

[2]- عبد الحميد بن هيمة، الصّورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ط1، دار هومة، الجزائر، 2003، ص، 57.

المطلق) وبين الريح والجناحين، وتكون للريح (الثورة – الحداثة) رسالة "كتاباً" فيها إصرار الإنسان "العنف" على التشتيت "الأفق" (المستقبل – الحلم)"[1]، بمعنى أن الصّورة الشعرية أصبحت تتألف من شبكة من العلاقات التي استمدها المصطلح من النقد الغربي، كإزاحة الدال عن المدلول مثلاً، وإعطاء الدال مجموعة من المفاهيم التي لم يكن يعنيها قبلاً، ويبدأ الشاعر في إعطاء صورة خيالية تمتزج فيها الدوال بمدلولات جديدة خارجة عن المدلولات الواقعية التي كانت تحملها، وقد أعطى لنا مثالاً عن ذلك تلك الصّورة الشعرية التي كانت محاكاة للواقع الطبيعي للشاعر، والتي أصبحت مجموعة من تراسلات المدلولات ومهداً للتناقضات، ومثال على ذلك ما قاله الشاعر أزراج عمر:

"**متى يجلس الغيم خلفي.**

لأنهي أسباب حزن الشجر.

وأبدأ في رسم تفاحة خصرك البحر بيتي.

وكل المرايا.

سجون الوجوه الذليلة.

يهاجر بحر الظنون.

فتبقين بحري.

وأكسر كل القيود.

وتبقين قيدي.

[1]- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص، 324.

والمتأمل في هذه اللوحة يلاحظ تلاحم الصور وتلاحقها لتجسيد حالة نفسية لا نصل إليها إلا باستبطان ذات الشاعر التي فجرت النّص إلى دلالات بعيدة لا يمكن الوصول إليها إلا بالقراءة الحديثة التركيبية التفكيكية في آن واحد"[1].

أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن الصّور تتغيّر وتتبدل مع مرور العصور والأزمنة، فحين "**كان الجمل مطية العربي في الصّحراء كان يشتق العربي منه كثيراً من صوره الشعرية والبيانية، فيقول امرؤ القيس مثلاً " فقلت له ما تمطّى بصلبه" ... الخ، والكلاسيكيون غالباً يستخدمون الصّور العقلية، والرومانسيون يستخدمون الصور المهموسة السارية في الخيال البعيد، ويحاول الشعراء استخدام الصور الدقيقة التي تتصل بالحقيقة بسبب، سواء صورت موقفاً أو حالة نفسية أو فكرة**"[2]، بمعنى أن الشاعر كان يعبّر عن الواقع العربي المعاش الذي كان مرتبط بالخيول والإبل، أي مرتبطة بالحياة العربية القديمة، وأصبحت الصّورة كل ما يتعلق بالعقل، ويرتبط به عند الكلاسيكيين، أما فيما بعد أصبحت عند الرومانسيين كل ما يتعلق بالوجدان والعاطفة والشعور والأحاسيس، فالصورة تتغيّر وتتبدل إذن باختلاف المدارس النقدية، فكل مدرسة وكل مذهب نظرت إلى الصّورة وعرّفتها حسب منظورها ومفهومها.

3. الصّورة الأدبية في الدراسات المقارنة:

عرف علم دراسة الصّورة في الآداب المقارنة عند المدرسة الفرنسية، التي كانت تُلقى الضوء على الأجنبي (الآخر)، وبدأت هذه الدراسة مع "**جان – ماري كاريه ثم أخذها فرنسوا كويار، ودافع عنها، ونشرها في الفصل الأخير من كتابه الصغير ضمن سلسلة (كوسيج – ماذا أعرف؟ عام 1951، "**

[1]- عبد الحميد بن هيمة، الصّورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ص 58.

[2]-

الأجنبي مثلما نراه "، بعد ذلك بوقت قصير أبدى رينيه ويلك ضمن مقالة في الكتاب السنوي للأدب المقارن معارضة شديدة للدراسات التي يعدها أقرب إلى التاريخ أو تاريخ الأفكار منها إلى الأدب"[1].

الصورة المقارنة هي "**كل صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلاً (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر، و(بهنا) بالمقارنة مع مكان آخر، الصّورة إذن تعبير أدبي أو غير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي**"[2]، بمعنى أن الصّورة المقارنة هي مقارنة بين الأنا والآخر، وكيف يُرى الأنا بمنظور الآخر، فأدب شعب ما هو الذي يجعل الآخر يكوّن فكرة أو نظرة عن هذا الأنا، فالأدب يحمل أفكار ونظرة شعب ما، ما يجعل الآخر يعتمد على هذا الأدب لمحاولة فهم هذا الشعب وما الذي يميّزه عن شعب آخر، كأن نقول الأدب العربي، فهذا الأدب بكل ما فيه من دواوين شعرية، وروايات وقصص، يحمل بين طياته ثقافة الشعب العربي، وكل ما يميّزه، لذا فهو يعد المرجع الذي يأخذ به الآخر لمعرفة هذا الشعب، ويكون الواقع هو المُلهم لهذا الأدب، لأنّه الموضوع الذي يعبّر فيه الكاتب أو الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره، بالألفاظ والكلمات والتعابير المعبّرة، فهو يعبّر عنه (الأنا).

صورة العرب الحقيقية تظهر من خلال أدبهم، فالأدب يحمل في طياته حياة العربي، لذا فإن"**ترجمة روائع الأدب العربي، قديمه وحديثه، إلى اللّغات الأوروبية، وتقديم العرب والمسلمين للرأي العامّ في الغرب من خلال آدابهم، مما كان له أكبر الأثر في تحسين صورتهم، وهذا ما شكّل مقدمة لتفهم قضاياهم، والتعاطف معهم، فالأدب خير رسول ينقل صورة أمّة من الأمم إلى العالم**"[3].

بمعنى أن ترجمة النصوص الأدبية العربية إلى مختلف لغات العالم يساهم في تطوير الأدب العربي من جهة، والتعريف بالحضارة والثقافة العربية من جهة أخرى، ويعود الفضل في تقديم العرب إلى

---

[1]- دانييل– هنري باجو، الأدب العام المقارن، تر: غسان السيد، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص89.

[2]- م.ن، ص 91.

[3]- عبده عبود، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990، ص 146.

المستشرقين الغرب لأنهم يحاولون توضيح الصّورة من خلال ترجمة أعمالهم الأدبية (العرب) ويحاولون فتح أبواب التفاعل الثقافي وحوار الثقافات والحضارات من خلال كل هذا تظهر صورة العرب الحقيقية، فالأدب هو أحسن الطّرق لتقديم العرب للعالم، إذن فالترجمة الأدبية لها دور فعّال في تشكيل صورة العرب في العالم.

قُدّم العرب بصورة جيدة للعالم، فلقد"**أسهمت جهود المستشرقين بصورة جوهرية في تحسين صورة الشرق، وذلك بتقديمه إلى الرأي العام الغربي والعالميّ كموطن لشعوب ذات حضارة راقية، لا كشعوب همجّية بربرية، مثلما تدّعي الأوساط الاستعمارية الصهيونية، وبهذا الخصوص كان هناك تعارض صارخ بين أفكار المستشرقين التي أبرزت منجزات الحضارة العربية الإسلامية وبين المساعي الاستعمارية والصهيونية التي صّورت العرب والمسلمين كهمج متوحشين وسوّغت بذلك قيامها باستباحة بلادهم واحتلالها ونهبها، ولا أظنّ أن أحداً يجهل ما قاله مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل بخصوص الدولة اليهودية، التي ادّعى أنها ستكون قلعة للحضارة والديمقراطية وسط بحر من الهمجية والبربرية السائدين في الشرق**"[1]، بمعنى أن الفضل في تحسين صورة العرب في العالم يعود للمستشرقين، اللذين صوّروا العرب على أنّهم شعب يملك حضارة راقية، وتراث لا يستهان به بل هو شيء يُفتخر به، على عكس ما كان سائداً في أوساط المجتمع الغربي، الذي كان يراه شعباً متخلفاً بربرياً، وهذه الأفكار وهذه الصّورة التي ترسخت في ذهن هذه الشعوب عن العرب، إنّما هي صورة لها مرجعياتها التاريخية، والتي تكونت مع مرور الزّمن، وهي محاولة من المستعمرين لتشويه صورة العرب، ووصفهم على أنهم شعب متخلف يحتاج للتّطوير، وبالتالي الإباحة لأنفسهم الدخول إلى هذه البلدان، بحجة أنهم شعب متخلف يحتاج إلى إدخال الحضارة إليهم، ليصبح العرب في نظرهم الشعب المتخلف المتوحش،

[1]- عبده عبود، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دمشق، 1990، ص145.

وهذا ما أشار إليه تيودور هرتزل في مقولته، التي اعتبر فيها الشعب الصّهيوني، أو الدولة الصّهيونية ذات الحضارة والتراث الراقي، عكس العرب الذين وصفهم بالهمج والبربر.

انظم مؤخراً لحقل دراسات الصّورة المقارنة، موضوع الصّورة النّمطيّة، و"**النّمط حامل لتعريف (الآخر) وهو البيان عن المعرفة جماعية دنيا تريد أن تكون مشروعة في أي لحظة تاريخية مهما كانت**"[1]، بمعنى أن النّمط يحمل تعريفاً للآخر، أي أن النّمط الذي يمتاز به شعب من الشعوب، أو أمّة من الأمم يجعله مختلفاً عن شعب آخر، الخاصية أو النّمط الذي يريد شعب ما تثبيته لكي يكون ميزة تميّزه عن الشعوب الأخرى، في أي حقبة من حقب الزّمن، يصبح حقيقة نمط.

و"**من هنا، يطرح النّمط، بطريقة خفيّة، طبقة دائمة، وتفرعاً ثنائياً حقيقياً للعالم والثقافات، القول بأن الفرنسي شارب النّبيذ يعد نمطاً، ونمطاً ذاتياً إذا كان الأمر يتعلق بالفرنسي الذي يلفظ هذا القول، يتعارض هذا التعريف الذاتي بطريقة مبدئية، وأساسية مع الإنجليزي شارب الشاي أو الألماني شارب الجعة، في الواقع، يهدف هذا التعارض إلى وضع طبقة لصالح الفرنسي، داخل ثقافة فرنسية، هذا المثال التبسيطي يقود إلى نسيان كتابة لأحد أساتذة النثر الفرنسي في عصر (الرّدة) موريس باريس في روايته الصّغيرة مثلاً COLETTE BAUDOCHE التي لاقت نجاحاً كبيراً، وتتقابل فيها بطريقة نظامية الثقافة الفرنسية (أو بصورة أدّق ثقافة لورين)، والثقافة البروسية، أي اللاتينية (الحضارة من وجهة نظر الكاتب والجمهور الذي يتوجه إليه)، والجرمانية، أي البربريّة**"[2].

عرضنا مجموعة من الأنماط التي تميز بعض شعوب العالم، كأن نقول بأن الفرنسي شارب النبيذ، فهذه هي الصّورة التي انطبعت في ذهن المتلقي، وبمجرد القول نبيذ يخطر على بالنا الفرنسي.

---

[1]- دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن، ص95.

[2]- م.ن، ص.ن.

وهكذا نكون قد أعطينا بعض مفاهيم الصّورة المقارنة سعينا مكن خلالها إلى إزالة شيء من اللبس الذي اكتنف هذا المصطلح.

توطئة:

إن الله عز وجل خلق المرأة والرجل على حد سواء، وجعل لكل منهما ميزات تميز كل واحد عن الآخر، فأعطى المرأة صفة الحنان، الرقة والجمال، وأعطى الرجل صفة الريادة والقيادة باعتبار الجانب الفيزيولوجي وما تتطلبه الحياة من كفاح ونضال من أجل الاستمرار.

ولكن الله وحد بينهما، وجعل الحياة ممتدة ومستمرة باستمرار العشرة والألفة والمودة بينهما، فكانت المرأة هي أساس المجتمع، الذي يتطور ويصلح كلما كانت صالحة، لأنها تورث الصلاح والاستقامة لأبنائها، أبناؤها الذين سيكونون في يوم من الأيام المستقبل.

المرأة تخوض غمار الحياة وهي تؤدي أدواراً عديدة، تكون الأم، الأخت، الزوجة والابنة، تكون بأوصاف عدة وبجمال يختلف من امرأة لأخرى،لأن الجمال يرى بالعين، وعين الحسن ليست واحدة، فالمرأة تكون جميلة في نظر عين، وغير جميلة في أخرى، وهذا ما جعل كل النساء جميلات.

تبقى المرأة هي المخلوق الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من ضلع سيدنا آدم لتكون رفيقة الرجل في دروب الحياة الوعرة.

لا يمنح المجتمع العربي قديما في كثير من الأحيان صك الغفران للمرأة إن هي أخطأت، بل ترمى وتتهم وترجم، دون معرفة حتى لماذا اختارت ذلك الطريق، لماذا انحرفت عن المسار الصحيح، ولكن أكرمها الإسلام عند نزوله على خير الخلق محمد (ص).

المرأة هذا المخلوق الذي أكرمه الله عز وجل بكرامات عدة، كفاها عظمة أنها أم تنجب أجيال المستقبل، كفاها فخرا أنها زوجة تحافظ على توازن المجتمع وتحفظه من الضياع، لأنها ترتبط بالرجل بروابط مقدسة وهي رابطة الزواج، كفاها الكرامات التي منحها لها الإسلام، فأصبحت بعده معززة ومكرمة.

1. أوصاف المرأة عند العرب:

المرأة في نظر بعض أفراد المجتمع ليست سوى جسد يلبي رغبات الرجل، أو هي محط أنظارهم عندما تمشي في الشوارع، وينظرون إليها نظرة الذئب الجائع اللاهث وراء فريسته، فكانت عند كثير من العرب ولا تزال توصف وصفا خارجيا، يصفون ما يخص جسدها ومظهرها الخارجي من عيون وشعر ووجه حسن جميل...، يصفون فقط ما يحبون وماذا يكرهون في شكلها وجسمها، متناسين أن المرأة أيضا بشر، ولها مشاعر وأحاسيس، ولها ما يميزها، فلها عفافها وشرفها ونسبها، ولهم في هذه الأمور، أيضا شروط وأقوال.

أ. المرأة الجسد:

كان العرب في قديم الزمان يطلقون على نسائهم أحسن الصفات وأجملها و"**يصفون أعضاءها كما لم يصفها أحد من الأمم في جمالها وبهائها، وقد شبهوا المرأة بالبدر، والشمس وعقيلة الدر، وبيضة النعامة، إذا لم يكن فيها فاتئ يعيب جمالها، وبالظبية البكر، والدمية والريحانة، والغزال، وبالبرديّة في صفائها وبياضها واستوائها**"[1].

هذا يعني أن العرب في القديم كانت لديهم ما يسمّونه معايير الجمال عند المرأة، فمن اجتمعت فيها هذه الصّفات كانت الأميرة الحسناء المرجّوة، وإن كانت عكس ذلك كانت مذمومة وقليلة الطلب.

وكان العرب في الجاهلية ينعتون المرأة بصفات عديدة، وكانت عندهم كثيراً ما ترتبط بالمحيط الخارجي والمظاهر الطبيعية وحتى الحيوانات، ولأنهم كانوا يعاشرون الحيوانات، بكثرة وخاصة الإبل والفرس، أصبحت الصفات الجميلة التي كانت تتصف بها هذه الحيوانات تلصق بالمرأة وتوصف بها،

[1]- عرفان محمد حمّور، المرأة والجمال والحبّ في لغة العرب، ط1، مؤسسة الرّحاب الحديثة، لبنان، 1998، ص25.

فكانوا يقولون عنها مثلا: "**السّانعة والمسناع: وهي الناقة الحسنة السنيعة: وهي المرأة الجميلة، اللينة المفاصل، اللطيفة العظام**"[1].

وهذا إن دلّ على شيء إنّما دلّ على أن العرب في الجاهلية كانوا يربطون بين الحياة التي يعيشونها، وبين المرأة التي كانت تتخذ صفات الحيوانات التي كانت لها قيمة وشأن عندهم. وكانوا يقولون عنها "**ناقة عيطاء: طويلة العنق. امرأة عيطاء: طويلة العنق. ناقة لَقُوح: حلوب. امرأة لُقَاح: مرضعة**"[2].

كانت الصّفات التي توسم بها المرأة في الجاهلية مستمدّة إذن من وحي حياتهم، ومن وحي علاقاتهم بالمحيط الخارجي، فربطوها بالفرس والناقة اللّتان كانتا معشوقتا العرب ولازالتا.

ووصف العرب أجزاء من جسد المرأة، فكان للعين والوجه الجميل والشعر أكثر الحظوظ من أوصاف العرب، فقد أطلقوا عليها أجمل الأوصاف وأحسنها، خاصّة في أشعارهم.

- ✓ **العين:**

للعيون سحرها، وهي أجمل شيء في المرأة في نظر العرب، العين تعبر عما يحمله الوجدان، فكثيرا ما كانت العيون تفصح عما في القلوب، فلغة العيون أصدق اللّغات وأقدرها على التمييز.

كثيرا ما وصف الشعراء عيون حبيباتهم، وتغزّلوا بها وبجمالها، فشبهوا عيونهن بعيون الغزال والظبية في وساعتها وحسنها، يقول الشاعر ذو الرّمّة[3]:

وعيناك قال الله: كونا فكانت فعولان بالألباب ما تفعل الخمر.

---

[1]- خليل عبد الكريم، العرب والمرأة، حفرية في الإسطير المخيّم، ط1، دار الانتشار العربي، بيروت،1998، ص40.

[2]- م.ن، ص. ن.

[3]- نقلاً عن: أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص47.

وهذا الكلام الجميل قاله الشاعر واصفا عيون حبيبته، قال بأنهما عينان سبحان خالقهما، وتفعلان بالعقول ما تفعله الخمر في عقل شاربها، وتتركان سحراً يجعل كل من يراهما يتعلق بهما من فرط حسنهما.

والعرب تحب المرأة التي تكون عيناها كحلاء، وهو"**سواد جفون العيون من غير كحل، ومنه قولهم ليس التّكحّل في العينين كالكَحَل**"[1]، هذه العيون التي تكون كحلاء هي العين التي يحبّها العرب، وتترك في نفوسهم السّرور، خاصّة إذا نالوا المبتغى وكانت حبيبتهم ذات عيون كحلاء، فإنه سيكون وفيا لتلك العيون مدى العمر.

ولكن إن "**لم يرزق بعيون كحلاء، فإنها تعوض ذلك بالكحل**"[2]وفي هذا المقام سرد أبو عمرو بن العلاء بعض الكلمات التي كان العرب يطلقونها على العينين حيث يقول:"**الحور: أن تسوّدّ العين كلها مثل أعين الظباء، والبقرة، والدّعج: وهو سعة العين مع حسنها، يقال: عين نجلاء، والوطف: وهو طول أشفار العين، وجاء في وصف سيّدنا رسول الله، أنه كان في أشفاره وطف، يعني أنه كان في هدب عينيه طول**"[3].

هذه هي الأوصاف التي يحب العرب أن تتوفر في عيون حبيباتهم وزوجاتهم، ولكن قد يحدث أن يخرج أحد عن المتعارف والمعمول به ويحب مثلا امرأة ذات عيون صغيرة، أو امرأة ذات عيون زرقاء وغيرها.

---

[1]- عرفات محمّد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ص40.

[2]- خليل عبد الكريم، العرب والمرأة: حفرية في الإسطير المخيّم، ص87.

[3]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حبّ، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ط1، دار المناهل، لبنان،1993، ص42.

✓ الوجه:

العرب يحبون المرأة ذات الوجه الجميل لأن"**الوجه هو العنصر البارز في الإنسان وغالبا ما يكون مستقلا ظاهرا لا يستره شيء، بل هو أوّل ما يلحظه الناظر من الشخص الآخر**"[1].

وتستعين العرب لتصف جمال وجه المرأة بالشمس وبالقمر ليلة اكتماله، فكانت معظم الصفات التي توصف بها مستوحاة من إشراقة القمر وإطلالة وضوئه، وهذا كمثل قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة:

فعرفت صورتها ولست بمنكر أحد شعاع الشمس ساعة يطلع.

ويبدو أن حتى الفرس يجعلون للوجه الجميل دور في السعادة، فالجمال يجعل حياة المرء سعيدة على حسب اعتقادهم.

"**سلّمت فالتفتت بوجه واضح كالبدر زيّن ذاك جيد أتلع**"[2].

يصف الشاعر في هذين البيتين جمال حبيبته، وهي كما وصفها كشعاع الشمس ساعة طلوعه، ووجهها يتلألأ كالقمر وسط النجوم في ليلة صافية.

ولقد"**كانت الفرس تتيمن بالوجه الحسن وتقول"إن الحسن أول السّعادة للمرء، فإن الله تعالى بلطيف حكمته وشريف إبداعه وصنعه لم يخلق شيئا عبثا، ولم يجعل الصّورة مصطفاة مختارة الصّفات، سليمة من الآفات إلا عن فضل احتفاء منه تعالى بها... قالوا وقلّما توجد الأخلاق الجميلة إلا تابعة للخلق الجميل**"[3]

ويقول عمر بن أبي ربيعة[4]:

---

[1]- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص**41**.

[2]- نقلاً عن: رفيق خليل عطوي، صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1986، ص160.

[3]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حبّ، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص12.

[4]- نقلا عن: رفيق عطوي، صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، ص158.

وجهك الجميل لوبه تسأل المز ن من الحسن والجمال استهلاّ

وأسيـل من الوجوه نضير دق فيــه الجمال وحلاّ.

كان العرب يفضّلون المرأة ذات البشرة البيضاء، ويقال في لغة العرب القدامى"**امرأة عفراء : بيضاء. الماريّة: المرأة البيضاء البراقة**"[1].

بمعنى أن حبيبته جميلة إلى حدّ أنها تتّخذ شفيعة أمام الله لكي ينزل المزن من السّماء، ولأن حسنها لا يمكن لأحد أن يراه دون أن يتعلّق، فإن الله لن يردّها خائبة إن هي رفعت يديها داعية الله أمن ينزل المطر.

وكان سيدنا عمر بن الخطّاب "**إذا رأى امرأة متنقبة، قال لها اسفري نقابك، فإن رآها حسنة أمرها تنتقب، وإذا رآها قبيحة منعها من النقاب**"[2]بمعنى أن المرأة إذا رآها جميلة أمرها أن تستر وجهها اتقاءً للفتنة ودرءاً للفضيحة التي تنجر عن الشهوات، وإذا كانت قبيحة لا ضير في أن تكشف عن وجهها لأنها تكون غير مثيرة للغرائز.

وتقول العرب أيضا "**إذا كانت شابة حسنة الهيأة، بيضاء، رخصة في نعومة فهي خَرْعَبَة وخُرْعُوبَة**"[3]

وهذا الكلام الذي أوردناه عن جمال المرأة قليل من كثير، والكلمات التي كانوا يصفون بها المرأة غريبة قليلا، ولكن لها عندهم من الدلالة والمعاني الشيء الكثير.

- ✓ **الشّعر:**

---

[1]- خليل عبد الكريم، العرب والمرأة حفرية في الأسطير المخيم، ص41.

[2]- زينة أحمد، م.س، ص41.

[3]- عرفات محمّد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب ، ص47.

إذا كان العيون هي ما يجعل المرأة جميلة، فإن الشّعر هو الذي يضيف عليها بهاء وحسناً، والعرب كانوا يحبّون المرأة ذات الشّعر الطّويل الجميل، الذي يتدلىّ على رقبتها، والرّقبة يفضلونها طويلة، ومما يفتخر به عند النساء العرب أن يكون "**شعرها أسود فاحم، كثيف كاللّيل**"[1]، بمعنى أن العرب كانوا يحبّون المرأة التي لها شعر أسود، وحبذا لو يكون طويلا مسترسلا، و"**لعّل اللّون الأسود أو القريب منه، كان يمثل صفة المرأة العربّية، ونقاء الصّفة، هو ممّا كان يعتز به العرب ويلحّون عليه**"[2].

فالعربي كان يعتبر إذن الشعر الأسود الذي كانت تمتاز به المرأة العربيّة دون غيرها من النّساء سمة من سمات حسنها، فهي المرأة التي تحلو في عين النّاظر إليها، وشعرها يضيف عليها تلك الأصالة العربيّة، ولكن ما نراه اليوم، أخرجنا قليلا عن المألوف، فقبلا كان شعرها الأسود دليل على عروبتها، أما اليوم فهي تميل لأن تكون غربيّة وغريبة عن أصلها، فمع تطوّر العصور والأزمنة تبدّلت الأصول وتبدّل معها تفكير النساء، وحتى إيمانها بالجمال، فقد أصبحت تريد أن ترى نفسها على شاكلات عدّة، وألوان مختلفة.

وفي وصف الشّعر تقول العرب" **شعر وَحْفُ – بسكون الحاء وفتحها– إذا غَزُرَ واسودّ وحسن واتّصل، وبَسَطُ: إذا كان مسترسلاً، ورَجْلُ: إذا كان بين السُّبُوطَة والجُعُودَة، أي كان غير جعد ولا سَبْط، والجَعْدُ: نقيض السّبط، أو الشّعر القصير، وشعر قطط: إذا كان شديد الجُعودة، وشعب مُفَلْفَلْ: إذا كان نهاية في الجعودة، كشعور الزّنج، ومُفْدَوْدن: إذا كان طويلاً مسترسلاً يصل إلى الكفل**"[3].

---

[1]- عرفات محمّد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب ، ص41.

[2]- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص41.

[3]- زينة أحمد: المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص50.

كثرت النعوت والأوصاف التي أطلقها العرب على المرأة، فبالإضافة إلى العيون والوجه والشعر، أولوا أهميّة أيضاً إلى أجزاء أخرى من الجسد، فأحبّوا المرأة الطويلة، ذات العنق الطويل: كما تقول العرب: بعيدة مهوى القرط.

وأحبوا المرأة التي يكون جسمُها ممتلئ، ولا زال العرب يحبون المرأة التي تشمل على هذه الأوصاف. وتبقى المرأة العربية امرأة فريدة من نوعها، فحاولت العرب ما استطاعوا أن يعطوها حقّها من الأوصاف، فنعتوها بأجمل الكلمات والنّعوت.

ب. المرأة الأنثى:

وصف العرب جسد المرأة فكانت: الجميلة والرّقيقة والطّويلة، ذات الشعر الطويل المسترسل، والعيون الحور...، هذه الصّفات يجب أن توجد في المرأة وإلاّ لن تكون جميلة في نظرهم، بغض النّظر عن جمالها وحسنها وبهائها، هناك أوصاف أخرى تمتاز بها المرأة العربّية نذكر منها: الحسب والنّسب، والحياء، والعفّة والشرف وغيرها، هذه الصّفات تضاف إلى الصّفات الجسديّة التي حدّدوا معايير جمالها، فبذلك تكون المرأة عربيّة في كامل أنوثتها وجمالها.

- ✓ **الحسب والنّسب:**

كانت العرب تحب المرأة الأصيلة التي تمتاز بعراقة النّسب، وشرف القبيلة، وقد كانوا يحرصون على الزواج وتزويج أبنائهم من النّساء اللّواتي ينتمين إلى قبيلة ذات جاه وشرف وعزّة، وكانوا لا يزوّجون بناتهم إلاّ من الرجال الأكفّاء الذين يستحقّون بناتهم، ولم يكونوا يزوّجون الهجينة إلا للهجين، وإذا"**كان حبّ العرب قديماً لنسائه يدفعهم إلى الحرص على نقاء أصولهن، والتّحرّي عن كرم أنسابهم، مخافة أن يكون لهم أولاد هجناء، فإنّ كراهة الهجين لم تقف بهم عند من كانت أمّه عجميّة فقط، بل كانوا يتوسّعون أيضاً في تتبع النّسب، ويتحّرون خلوصه من الهجنة عند الأب والأم معاً، لئلا يكون أحدهما**

أو كلاهما هجينا، فيكون ولدهما معيباً كذلك بالهجنة، انتقلت إليه من والديه أو من أحدهما، وكانوا يسمونه: القلنقس، والعبنقس، والمُكركس"[1].

هذا يعني أن العرب كانوا شديدي الحرص على نقاء الحسب، وصفاء النّسب، لأن الهجنة كانت عندهم أمراً معيباً، ويورّث أيضاً للأبناء. وهذا معن بن أوس يتفاخر بنسب محبوبته وشرفها فيقول:

توالدها بيضُ حرائر كالدّمى نواعم لا بيضُ قصار ولا خثم

وأجداد صدق لا يعاب فعالهم هي النّضد السّر الغطارفة الشّمّ

مطاعم في البؤس لم يعتريهم إذا يشتكي في العام ذي السّنة الأزم[2].

وهذا يعني أن الشاعر اختار حبيبة ذات حسب ونسب، وأجدادها من وجهاء القبيلة وأسيادها، ومن أشرف القبائل وأرفعها شأناً ومنزلة.

والعرب تبحث دائماً عن الأكفاء الذين يستحقّون بناتهم، وقد "**قال الحسن البصري، لرجل استشاره في تزويج ابنته: زوّجها من تقي فإنّه إن أحبّها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها**"[3]، أي أن الزّوج الأصيل والصّالح لا يظلم زوجته حتّى وإن كره عشرتها، وإن أحب زوجته كانت المعزّزة والمكرّمة في بيتها مع زوجها.

- ✓ **الشرف والعفّة:**

---

[1]- عرفات محمّد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ص15.

[2]- نقلا عن: أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص100.

[3]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حبّ، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص103.

كانت العرب ولا تزال تحب المرأة الصّعبة المراس، التي تتعفف أمام صاحبها أو خليلها، وكثيراً ما نظم الشعراء أبياتاً وقصائد عن عفة حبيباتهم، وكان ذلك يجعل حبّهم لها يزيد، فهي لا تمنح أكثر من نظرة، حيث يقول مجنون ليلى[1]:

خودُ إذا كثر الكلام تعوّذت بحمّى الحياء وإن تكلّم تقصد.

أي أن حبيبته لها من صفة الحياء والعفة الشيء الكثير، فهذا ما يزيدها جمالاً وحسناً وبهاء فوق حيائها.

وكما وصفتها العرب وأحبّوها عفيفة شريفة، لا تمنح نفسها لأي أحد، إلاّ لمن طلبها في الحلال، فإن الإسلام أيضاً أمرها أن تتعفّف وتغضَ بصرها عن المنكرات، في قوله تعالى"**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن...**"**[النّور–الآية: 31]**، ففي هذه الآية يأمر الله جلّ جلاله فيها النّساء بأن يصرفن نظرهن عمّا هو محرّم، وأن يتعففّن ولا تكونن ملكاً لأي كان، وإنّما تكون المرآة ملكاً لزوج يتزّوجها ويطلبها في الحلال، لأن الله جعل للمرأة المكانة الرفيعة العالية، وجعل بين يديها مفاتيح السّعادة والحياة الهنيئة، فالتّعفّف والحياء والشرف صفات المرأة المسلمة، المرأة التي تتنزّه عن المعاصي، وتتجنّب الشيطان.

منح الإسلام للمرأة حياة لا تقبل العبث واللّهو، والخروج عن العرف والمجتمع، و"**إنّ طبيعة هذه الحياة لا تطيق شيئاً من تساهل في نطاق الأعراض والحرمات وأنّها تولي النّساء صيانتهنّ، وتحفّهن بالكرامة الكريمة لهنّ، والحذر ممّا حولهن، وترتفع بهنّ عن أن يكنّ لعبة شاعر أو عبث متخيّل**"[2].

---

[1]- نقلا عن: أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص102.

[2]- رفيق خليل عطوي، صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، ص213.

هذه بعض الأوصاف التي يحبّ العرب أن تتوفر في زوجاتهم وحبيباتهم، وهناك صفات أخرى كان العرب يحبّون أن تكون في نسائهم، نذكر منها على سبيل المثال: حسن الحديث، وأن تكون من الأعيان أو ذات مستوى اجتماعي.

1. المرأة في إطار الأسرة:

تتخذ المرأة أدواراً عديدة في الحياة، فالمرأة تكون فتاة في البيت على شاكلة أخت أو بنت، ثم تنتقل لبيت زوجها فتكون الزوجة التي تجعل حياة زوجها سعيدة، لتكون أماً تصنع أجيال المستقبل.

كرّست المرأة حياتها لخدمة بيتها وزوجها وأولادها، فكانت أساس المجتمع الذي بها ومن خلالها فقط يكون المجتمع راقياً أو مجتمعاً منحطاً.

وعادة ما تحتقر المرأة في مجتمعنا، ولا تعطى لها القيمة التي تستحقها، والمكانة التي تنتظرها، بالنظر إلى تضحياتها على مدار حياتها. فتكون في بيت أبيها فتاة تقوم على خدمة والديها وإخوتها، لتكون زوجة تعمل على إرضاء زوجها وآل بيتها، هذا إن لم تكن تعمل خارج البيت أيضاً، فتكون المسؤولية عليها أكبر، والضّغط يزداد كلّما زاد عدد الأولاد، فالمسؤولية تكبر وتصبح بذلك في حاجة لمساعدة زوجها خاصّة، لتحقيق التوازن الأسري.

أ. الفتاة قبل الزواج:

كانت الفتاة في الجاهلية في بعض القبائل العربية نذير شؤم للذي بشّر بها، فهو لا يعلم ماذا يفعل بها، هل سيربيها على الرغم من أنها فتاة، أم سيقوم بدفنها وهي حيّة، ولكن في أغلب الأحيان تدسّ في التراب وهي تبكي، وتستغيث فقط لأنّها فتاة، فما ذنبها إذا كانت فتاة.

والذكر ليس كالأنثى، فالذكر عندهم عزة أبيه وشرفه، وضمان لاستمرارية النسب الشريف، أما الفتاة فمنها الذّل والهوان، فالعربي دائما يخاف أن تجلب له العار، وأن تنزل منزلته بين أشراف القبيلة وأسيادها.

والله جلّ جلاله يقول في هذا الصّدد" **وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** " [النحل/ 56. 57. 58].

ولكن الإسلام حرّم وأد البنات وأبطله، لأن الكثير من القبائل العربية كانت تطبقه وتأخذ به، فيقول عز وجّل"**وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت**" **[التكوير، الآية: 06.]**.

والرّسول – صلى الله عليه وسلم – كرّم الفتاة، حيث قال "**أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها، وأدّبها فأحسن تأديبها دخل الجنة**"[1].

ولكن الله لم يفرق بين الذكر والأنثى في العبادات والأحكام، إذ يقول" **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**" **[الأحزاب/36]**، هذا يعني أن "**صيغ العموم في القرآن والسّنة تشمل الرّجال والنّساء مثل: من الشرطية وكل، ولو كانت بعض صيغ آيات الأحكام واردة على ضمير التذكير، التي وإن كانت في أصل الوضع للرجال، إلا أنها من مصطلح الشّرع مخاطب الجميع للأدلة الدّالة على عموم الشّريعة**"[2].

أما الفتاة في المجتمع تكون أختا وبنتا، فالفتاة دائماً تكون مستعدّة للمساعدة ولا تبخل بأي شيء، فالفتاة يكون إخوتها ووالداها أعز ما تملك، عندما تغيب الأم عن المنزل، فإن الفتاة هي التي تقوم على خدمة إخوتها وأبيها، وإن كانت الأم متوفاة فإنها ستضطر لترك مقاعد الدراسة لكي تهتّم بشؤون البيت.

فترة المراهقة بالنّسبة للفتاة صعبة قليلاً، لأنها تكون وسطيّة ما بين الطفلة والشّابة، فتتغيّر فيزيولوجياً، وتصبح تميل أكثر لكي تكون أنثى، والمراهقة قد ترى نفسها على شاكلة معيّنة، وعادة ما

---

[1]- محمّد الصّادق بسيس، ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبها التجارب والنكسات، الأصالة، عدد6، فيفري– مارس، 1977، ص116.

[2]- م.ن، ص118.

ترسم المراهقة لنفسها صّورة جميلة عن ذاتها، وتحاول أن تقنع نفسها بها، حتى وإن لم تكن كذلك، فإنّها تحاول إشباع غرورها كمراهقة، لأن "**وجهة نظر المراهق عن ذاته قد تكون واقعية ومتوافقة إلى حدّ كبير مع المعايير السائدة، إلاّ أنّها قد لا تكون على أيّة درجة من الواقعيّة، إذا ما قورنت في إطار المعايير الخارجية**"[1].

وعادة ما تكون نفسيّة الفتاة المراهقة متسمة بالعدوانية أو الانطواء، وتعد هذه المرحلة أحرج مرحلة بالنسبة للفتاة، فعلى الأبوين أن يكونا دائماً إلى جانبها، كي لا تسلك الطريق المؤدّية للضّياع، ولأنّها في هذه الفترة التي تصاحبها تغيرات فيزيولوجية، تحتاج لأن تكون أمّها على وجه الخصوص قريبة منها، فإن لم يكن الأمر كذلك، فذلك يؤدي إلى شعور المراهقة بالحرمان، وإذا نشأت المراهقة وهي تشعر بالنّقص والحرمان، فإنّها تفعل أي شيء سواء للفت الانتباه، أو لإثبات الذّات، فيجب أن تحاط بالاهتمام، وجعلها تحسّ بأنها مهمّة، ولها مكانة في العائلة، وإن لم تشعر بالأمان في البيت، فإنها ستصاب بنوع من الغيرة من أقرانها وأصدقائها، إذا ما انصبّ الاهتمام عليهم فقط، إذ"**يحسد الناشئ المحروم أو المرفوض رفاقه، ويغار منهم، ويتمزّق إن أعار الناس اهتماماً كثيراً لأحدهم، فنجاح الآخر ومديحه، يشكلان تهديداً مباشراً للمراهق خاصة**"[2]. فحنان الوالدين بالنسبة للفتاة المراهقة واهتمامهم بها، هو السّبيل الوحيد إذن لكي لا تصاب الفتاة بالدّونية، ولا تحسّ بأن رفاقها وأصدقائها هم الأحسن والأفضل.

ولكن مع مرور الوقت ومرور هذه الفترة الصّعبة، فإن الفتاة تعود إلى توازنها النّفسي، وتصبح متحمّلة للمسؤولية، ويمكن للأم الاعتماد عليها في كل شيء، دونما خوف من أن تخطيء، لأنها منحت أثناء فترة المراهقة الصّعبة، ما تحتاج إليه من عطف وحنان واهتمام.

ب. المرأة الزوجة:

[1]- محمّد مسباعي، صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، د ط، دار القصة للنشر، 2000، ص24.

[2]- م.ن، ص26.

الحياة قائمة على أساس علاقة الرجل بالمرأة، والمودّة والحب اللّذان يجمع بينهما هما الرابطة التي تجعل الحياة مستمرة، لأنّ"**الحال أن المرأة والرجل إنّما يحاولان كل منهما الاقتراب من الآخر، انطلاقا من إحساساتهما وعواطفهما**"[1].

هذا الانجذاب الذي يحدث بين الرجل والمرأة يساعدهما على بناء علاقة زوجية وأسرة، هذه الأسرة يكون أساسها الحبّ، وفروعها الاحترام المتبادل والثّقة والرّحمة، فالمرأة عندما تتحوّل إلى زوجة تصبح امرأة أخرى، يصبح لها مسؤوليات جديدة، حتى طريقة تفكيرها تصبح مختلفة، فالزّوجة هي أساس الحياة، لأنها تحمل حياةً وروحاً داخلها أو في أحشائها، سواء كان جنسه صبيّا أم فتاة، فإن هذا الطّفل سيكون المستقبل يوماً ما، هذا الجنين الذي تحمله يكون بذرة حبّ زرعها زوج تحبّه، وتبقى تحبّه إلى أن يفرّقهما الموت.

والزّوجة تفني حياتها في خدمة بيتها، وفي خدمة زوجها وأولادها، بها ومن خلالها فقط ينسى الزّوج متاعب يومه، إليها يعود دائماً، يعود والشّوق إليها يكبر كل يوم.

عندما يتعب العربي البدوي من الحياة ومشاكلها، ومن العمل ومللله، فإنه لا ملجأ له إلا عند زوجته، التي تنسيه متاعب يومه، وتحنّ عليه وتمنحه حبّها الذي يضفي على حياته الهناء والسعادة.

الزوجة عند العرب القدامى لم يكن لها حريّة الانتقال وحرّية التعلّم، وحريّة فعل ما تشاء، فهي"**كلّها عورة حتّى صورتها، وهي أسيرة (عوان) عند الزواج وعليها الطاعة الشاملة الكاملة، ولو أمرها ألا تغادر المنزل حتى لزيارة أبويها فيجب أن تمتثل، وإلا عدّت عاصية كالعبد، إذا خالف فهو أبق (خارج عن الطاعة- عاصي)، ولا تجلس مع أجنبي منفردة، وخير لها ألاّ يراها ولا ترى رجلاً، وإذا خرجت من**

[1]- بيير داكو، المرأة: بحث في سيكولوجية الأعماق، تر: وجيه أسعد، ط3، الدار المتحدة، دمشق، 1991، ص263.

دارها فلا تظهر سوى عينيها، وأن تكون تَقلَة (غير متعطرة)، لأن الطيب الذي يفوح من أردانها (جسمها) يحرّك رغبة الرّجال"[1].

هذه الشروط التي كان يفرضها العرب على نسائهم كانت جائرة إلى حد كبير، لأن الزّوج لم يفرض هذه الشروط من باب ستر زوجته، وإنما من باب التّحكّم فيها والسّيطرة عليها، لأنّها في نظرهم مملوكة لهم ولديهم الحق في أن يفعلوا بها ما يشاءون، ولم يكونوا يرونها سوى آلة للمتعة والزّواج والإنجاب.

وبمجيء الإسلام أعطى للمرأة شأناً عظيماً، وشرّع لها حقوقاً كما فرض عليها واجبات، فصان حقوق الزّوجة من اضطهاد الزّوج، وإن حاول أن لا يلبي مطالبها، فإنّ لها الحق في الإلحاح على نيل ما تريد، في حدود ما شرّعه الله، حيث يقول عزّ وجل"**ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف**"**[البقرة، الآية، 228]**، وهي من بين الآيات التي أكّد فيها عزّ وجل أن المرأة لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات، ولكّن الله عزّ وجلّ جعل المرأة مادون الرّجل.

إذا كان للزّوج على زوجته حقوقاً، كحق الطاعة والولاء، وحق تلبية كل ما يطلبه منها، فإن للزّوجة أيضاً الحق كاملاً في أن يلبي الزوج ما تريده وتطلبه، لأنّ"**كل ما يحقّ للزّوج أن يطلبه من زوجته من أمور مشروعة، يحق للزّوجة أن تطلب منه، ولكلمة المعروف في سلك التركيب القرآني بليغة ووجيزة، فيما ترمي إليه، فهي تعني من جملة دلالاتها ما هو متعارف عليه أنّه حقّ، والضّابط له أن لا يحرّم حلالاً ولا يحلّل حراماً**"[2]. فالزوجة لها حقوق على زوجها، مثلما للزوج حقوق على زوجته.

وفي طاعة الزّوجة لأوامر زوجها يقال"**عن ثابت، عن أنس: أن امرأة كانت تحت رجل فمرض أبوها: فأتت النّبي (ص)، فقالت: يا رسول الله: إنّ أبي مريض، وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرّضه، فقال لها النبي (ص): أطيعي زوجك، فمات أبوها: فاستأذنت زوجها أن تصلّي عليه، فأبي أن يأذن لها**

[1]- خليل عبد الكريم، العرب والمرأة، حفرية في الإسطير المخيم، ص231.

[2]- محمّد الصادق بسيس، ما أعطاء الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبن التجارب والنكسات، ص117.

في الصلاة فسألت النبي (ص): فقال: أطيعي زوجك، فأطاعت زوجها، ولم تصل على أبيها، فقال لها النبي (ص): قد غفر الله لأبيك بطواعيتك لزوجك"، فأي كرامة أفضل من هذه الكرامة، وأي عظمة أكبر من عظمة الرابطة الزوجية، التي تبنى على أساس الطاعة والوفاء وصيانة العرض.

وإذا كانت الزّوجة، من جهة، تحب أن يكون الزّوج الذي تختاره محباً، وأن تكون هي أكثر ما يحبّه، وأن يكون هائماً في حبّها، فإنّها تّحب، من جهة أخرى، أن يفرض عليها هيبته وسلطانه، حيث تقول أحد النّساء "**لو كنت تعلم كم يتقن زوجي فرض الطاعة بنظرة واحدة! أحبّه لأنّني أشعر بلذّة خضوعي إلى سلطانه...**"[1].

المعاشرة والعشرة الزوجية لا تكون في جميع أحوالها جيّدة، لكن تصادفها بعض العثرات، كما يمكن أن لا يتفق الزوجين فيما بينهما، فكما تقول إحدى النساء "**إنّنا أنا وهو، نصل الحياة الزوجية مزَوّدين بمتاع ذي شأن، ماضينا، وقد حدّد هذا الماضي ما نحن عليه– أو ما يبدو أننا عليه– الآن...، كل منّا نزاع إلى أن يلوم الآخر بما هو عليه دون أن يتساءل لماذا هو كذلك؟ بحيث أن توبيخ الآخر يعني انتقاء ماضيه، حتى قبل معرفة أنني لا أعرف من هذا الآخر، إذا كنت أجهل من أين يأتي، وماذا كانت طفولته، وتربيته، وحياته الداخلية، وعندئذ حصراً أستطيع أن أقرّ به بعمق في كليته**"[2].

هذا يعني أن الزّوجة ليست مسؤولة إلى حدّ معّين عن حالتها، وليست مسؤولة عن كونها شريرة أم طيّبة، فالماضي فقط هو من يستطيع أن يعطينا صورة حقيقية عمّا عاشته هذه الزّوجة في طفولتها ومراهقتها، لنعرف ما هي الأسباب وما هي الدّوافع التي جعلتها تكون هكذا، والشيء نفسه ينطبق على الزّوج، فبقدر ما يعرف الزّوج عن زوجته، وبقدر ما تعرف الزوجة عن زّوجها يكون التأثير المباشر على

[1]- بيير داكو، المرأة، بحث في سيكولوجية الأعماق، تر، وجيه سعد، ص290.

[2]- بيير داكو، المرأة، بحث في سيكولوجية الأعماق، تر، وجيه سعد، ص290.

علاقتهما ببعضهما البعض وفي معرفة ما هي الظروف التي جعلت كل واحد منهما يصبح كما هو عليه، وهذا ما يولّد التّفاهم مع مرّ الأيام والسّنوات.

ج. المرأة الأم:

في حضور الأمّ كل الكلمات تغيب، وكل الأحاسيس تصبح مبهمة لا نستطيع التعبير عنها، لأنّ حبّها فوق كل حبّ، وحنانها فوق كل حنان، فكيف نوفّيها حقّها بالكلمات والألفاظ، كيف لا وهي التّي أعطت شبابها، وأفنت حياتها في تربية أبنائها، تسهر الليالي إذا مرضوا تفرح لنجاحاتهم، وتمسح بأيديهم وتأخذ بها إن هم في يوم من الأيام سقطوا، فالحياة من دونها لا معنى لها، فهي التي تضفي الألوان على حياتنا وتجعل من دنيانا جنّة، وكما يقول أحمد شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتنها أعددت شعباً طيّب الأعراق.

هذا يعني أنّ الأمّ هي المدرسة الأولى في حياة الطّفل، فإن صانها المجتمع ومنحها حقوقها، تكون بداية إعداد جيل المستقبل، فالأم التي تربّي أبنائها تربية صالحة، فإنها وبعد سنوات تكون قد أسّست لمجتمع راق ومتحضّر.

فالأم تحب أبنائها دائما، حتّى وإن أخطأوا في حقها فإنها تغفر بسرعة، ولا تغضب على أولادها أبداً، و"**من مظاهر حبّ الأم لأبنائها الحرص عليهم، فقد كانت الأم ولا زالت الأكثر حرصاً على أبنائها منذ مرحلة التفكير في الحمل بهم، وإلى أن يكبروا ويصبحوا رجالاً، فهي تدأب على رعايتهم أجنّة في بطنها، بل حتى قبل ذلك، ثم أطفالاً صغاراً، وأولاداً كباراً ثم رجالاً**"[1].

وها هو الرّسول– صلى الله عليه وسلم– يقول"**أمّك ثم أمّك ثم أمّك ثم أبوك**"، فكُرّمت الأم من طرف الخالق البارئ، والرسول – صلى الله عليه وسلم– ذكر الأم ثلاث مرّات قبل أن ينتقل إلى ذكر

[1]- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص250.

الأب، ليس انتقاصا من قيمته ورفع قيمة الأم عليه، أو استعلاءً وتكبراً، وإنّما لغاية ما في نفس يعقوب، فالأمّ الأولى: هي أنّ الأمّ تحمّل جنينها في بطنها تسعة أشهر، وتتحمّل الحمل الثقيل، وتدفع عنه كل أذًى، والأمّ الثانية هي أنّ الأمّ تَضَع حملها بآلام وأوجاع لا مثيل لها، والأمّ الثالثة هي أنّ الأمّ تُرضع ابنها حولين كاملين، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى "**ووصيّنا الإنسان بوالديه، حملته أمّه وهناً على وهن وفصاله في عامين، أن أشكر لي ولوالديك، وإليّ المصير**" **[لقمان، الآية، 146]**، ففي هذه الآية الكريمة يأمرنا الله عزّ وجلّ ببرّ الوالدين، وعدم عصيانهما ولو في أتفه الأمور، وما بالك الوصول لدرجة العقوق، فالأمّ حملت وليدها مشقّة على مشقّة، فلا تزال تتكبّد العناء من يوم خُلق نطفة في رحمها، مع الثّقل والضّعف، إضافة إلى آلام الولادة وانتهاءً بفطامه. ويقول الرّسول – صلى الله عليه وسلم– "**الجنّة تحت أقدام الأمّهات**"[1].

منح الله للأمّ كرامات كثيرة، إلى درجة أن أصبحت الجنّة تحت أقدامها، فمن كان باراً بها، عطوفاً عليها، نال الجنّة، ومن عقّها وعصاها كانت جهنّم هي المأوى، فالأمّ منحت عمرها، وأفنت حياتها وهي تكافح من أجل أن يكون مستقبلهم زاهراً.

وهناك حالات أين لا يتفق الزوج مع زوجها، فيؤدي بهما الخصام والنّزاع إلى الطلاق والانفصال. "**فإنّها تصّر على إبقاء ابنها معها غير آبهة بحجم المسؤولية التي تلقيها على نفسها لاعتقادها بأنّها الأحقّ به، والأكثر حفاظاً عليه**"[2]، وهذا يعني أن الأمّ مستعدّة دائماً لأن تمنح حياتها لأبنائها، دونما تفكير، لأنّها تتعامل دائماً بغريزة الأمومة، فهي ليست ملامة على ذلك، لأنّها تعتبر أبناءها هي حياتها، ومن دونهم لا معنى لحياتها ولا قيمة لها.

3. غيرة النساء:

[1]- محمّد الصّادق بسّيس، ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبن التجارب والنكسات، ص117.

[2]- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص251.

لكي تحصل المرأة على ما تريد فإنّها تفعل المستحيل، وتدبّر الحيل والمكائد، وفي هذا "**قال الفيلسوف الألماني الشهير آرثر شوبنهور- وكان في طليعة السّاخطين على المرأة- يسألونني عن الأفعى اللّينة الملمس! وهي أمامهم في كل وقت! بل في كل لحظة! هي امرأة!** "[1].

يعني شوبنهور بقوله هذا أن: المرأة هي أفعى ليّنة الملمس، أي: أن المرأة تظهر في البداية وكأنّها رقيقة الشعور، مرهفة الحسّ، ونقية الاعتقاد، فلا يمكن أن تكون لها نظرة سيئة عن الآخر، ولا معتقد خاطئ عنه، ولكن مع المعاشرة والمخالطة، ومع مرّ الوقت والزّمان تظهر على حقيقتها، وهي أفعى، والأفعى سمّها قاتل، والمرأة تشبهها، فإنّها ماكرة، يمكن أن تصيب بسمّها في أيّة لحظة وفي أي وقت.

ويقول جلّ جلاله في سورة يوسف"**إنّه لمن كيدكنّ، إنّ كيدكنّ عظيم**"**[يوسف، الآية، 28]**. وقال الإمام الزّمخشري في شرح الآية"**وإنما استعظم كيد النساء لأنّه وإن كان في الرجال إلاّ أنّ النّساء ألطف كيداً، وأنفذُ حيلة، ولهنّ في ذلك نيقة ورفق، وبذلك يغلبن الرّجال**"[2]، وقال علي بن أبي طالب"**المرأة عقرب حلو اللّسبة، ويقال: لسب الحيّة والعقرب والزّنبور تلبسه، وتلبسه لبساً، لدغة، وأكثر ما يستعمل في العقرب**"[3].

بمعنى أنّ وجه الشّبه بين المرأة والعقرب هو أنّهما تلسعان بسّمهما كل من يقترب منهما، أو يحاول أن يلمسّهما بضرر، ولكن المرأة تلسع فقط عندما تحّس بالخطر أو بالغيرة، فهي لا تحبّ أن يشاركها أحد من تحبّ ويحبّها، أمّا العقرب فلا تفرق في لسعتها، فهي تلدغ كل من يعترض طريقها. فالمرأة شديدة الغيرة ومن غيرتها قد تفعل أي شيء، هذا ما يجعلها تكيد وتمكر.

ومن الأقوال الأخرى الخاصة بالمرأة أن السيدة عائشة كانت شّديدة الغيرة خاصّة من زوجات النّبي – صلى الله عليه وسلم- لفرط حبّها له، وقد "**طالت غيرتها القويّة زوجات النبّي من حلفها أيضاً، فيروى**

---

[1]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص153.

[2]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص152.

[3]- م.ن، ص154.

أنّها كسرت بدافع الغيرة أوان لحفصة وصفيّة، وأنّها ضربت مرّة سودة التي تكبرها بخمسين عاماً تقريباً، وأجبرت حفصة على مساعدتها في ذلك"[1].

وكانت كل زوجات النّبي يغرن من عائشة، لأنها كانت محبوبة النبّي ومعشوقته، التي كان يحبّها حباً جمًّا، وما"**أن دخلت أم سلمة البيت النّبوي، حتى أعلنت "أنّها غيور"، فكان أن اصطدمت بعائشة، فكان النّبي يقول لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنّ الوحي لم يأتيني وأنا في ثوب امرأة غير عائشة**"[2]، رغم أن عائشة كانت تخطئ وفي بعض الأحيان تغضب النّبي – صلى الله عليه وسلم – ولكن بدافع غيرتها على زوجها، فهي امرأة قبل أن تكون زوجة نبيّ، ويتملكها من الغيرة ما يتملك أي زوجة على زوجها وأيّ امرأة على الذي تحبّه، فلولا أنّه نبيّ لما رضيت أن يكون له امرأة أخرى، أو يشاطرها فيه أحد ما.

وفي مقام آخر قال عبد الله بن مصعب "**شكا إليّ هارون الرّشيد، وهو وليّ عهد، أن أمّ جعفر لا تحمل، فقلت له: أغرها، وحدّثته حديث إبراهيم النبّي عليه السّلام مع سارة، وأنّها كانت لا تحمل، فاتّخذ هاجر، فحملت بإسماعيل، فغارت سارة فحملت بإسحاق، قال: فاتّخذ هارون الرشيد مراجل، فحملت بالمأمون، وحملت زبيدة بالأمين، وكان الرشيد يبجّل أمّ جعفر ويعظمها، وكان يقول : ربّما أردت غشيانها فأغرها بها فيأخذ فيّ الزَّمَعَ حتّى يمنعني منها، ولولا رغبته في الولد لم يُغرها بالشّوّي عليها، قال: وكانت تقول لي: إيّاك أن تجعلني في منزلة إمائك اللاتي تريد التّلذذ والتّمتّع بهن**"[3].

المرأة تتملّكها الغيرة بمجرّد سماع اسم امرأة أخرى، فالأخت لا تريد أن يشاركها في إخوتها أحد، والزّوجة تكره أن تشاركها الأم حبّ زوجها، والأمّ تغار من زوجّة الابن على ابنها، فهي تحسّ بأنّها سهرت

---

[1]- نبيل فياض، حوارات في قضايا المرأة التراث، الحرية، ط2، حوارات للنشر، سورية، 1997، ص 133.

[2]- نبيل فياض، حوارات في قضايا المرأة التراث، ص135.

[3]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي، حبّ، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص220.

وتعبت، وربتّ ابنها لتأتي امرأة أخرى لتأخذه، هذه هي المرأة، فبسبب غيرتها قد تظلم ولا تحسّ، قد تأخذ شيئاً من دون حقّ، تفعل أي شيء من أجل الحصول على ما تريده، وفي النّهاية يكون الرّجل هو المتمنّى، فله الحظّ الكبير، حبّ أمّ وعطاء زوجة وتبجيل أخت، كل هذا من نصيبه هو فقط.

4. أقوال عن المرأة:

أقوال وأمثال كثيرة قيلت عن المرأة، فللمرأة الحظ فيما قاله السّلف، ولكل امرأة مثل ينطبق عليها، فقد تكون المرأة الصالحة، أو المرأة الحاسدة والغيورة، أو المرأة الجميلة. ويقال: "**اللّي تزوّجها على مالها يموت فقير، واللّي تزوّجها على رجالها يموت حقير، واللّي تزوّجها على جمالها حبّ ربيّ والنبي البشير**".

يقال في تحبيذ الزواج بالمرأة الجميلة، لا ذات المال أو الرجال، لكن القضية ليست بهذه البساطة، فقد لا ينجح الزواج المبني على الطمع في مال المرأة الغنية، وقد لا يسلم من الذّل من كان أصهاره مهابين محذورين، لأن شرف الرجل لا يحققه له أحد سواه، لكن الزواج الذي يدفع إليه جمال المرأة وحده غير مأمون العواقب، فقد قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: "**إياكم وخضراء الدّمن**"، أي المرأة الحسناء في منبت السّوء، فمنبت المرأة وتربيتها ومالها أيضاً، هذه الأمور كلها لها أهميتها في الزواج، فغنى المرأة ليس عيباً كما أن فقرها ليس عيباً كذلك، لكن بين الغنية والفقيرة ما لا يخفى على أحد من فرق، وهناك حديث لم يصح عن النبي- صلى الله عليه وسلم-: "**من تزوج امرأة لمالها حرمه الله مالها**

وجمالها"[1]. كما يقال أيضا "**خذ الأصيلة ولو على الحصيرة" بمعنى تزوج الطيبة الأصل ولو كانت فقيرة، فسوف يُغنيها الله من فضله"**[2].

ويقال أيضا "**أربعة يا إنسان ما فيهم أمان، المرأة والسلطان والبحر والزمان. هذا المثل حكمي يقال فيمن وقع في ورطة مع هؤلاء الأربعة المذكورين في المثل، وغالباً ما يأتي كتحذير لمن ركن إليهم ووثق بأحد منهم، والتقابل بين الكلمات يتضمن التقابل بين المعاني الدالة عليها، فالمرأة كالبحر، لا يعرف المرء ما ينطوي عليه، والسلطان كالزمان يتحول ويتغير"**[3].

ويقال"**كيد النسا غلب كيد الرجال، بمعنى أنه مهما كان الرجل مكاراً وغداراً، فإنه لن يبلغ مبلغ المرأة منه"**[4]. ويقال"**النسا وكيتهم ما تتنسى" .ويقال في التحذير من غدر المرأة وخيانتها. والمثل يحكى على لسان القنفذ، ويقال: إن امرأة رأت قنفذاً متكوراً على نفسه ككبة من شوك، فسألته أن يريها وجهه الجميل، لتتمتع بالنظر إليه، ففعل، فكوته بشهاب من نار في جبينه، لكي لا يتكور من جديد، ولتتمكن من ذبحه، فهرب رغم الحرق البالغ، وهو يقول:"النساء وكيتهم ما تتنسى" وهناك من يضيف جملة أخرى إلى المثل فيقول:"ومرقتهم ما تتحسى" وتحكي الأسطورة أن القنفذ منذ ذلك الحين بقيت في جبينه علامة بيضاء، هي أثر تلك الكيّة!"**[5].

وعظمت المرأة الصالحة حتى قال فيها بلزاك (البيوت بدون النساء الصالحات قبور)[6].

فالمرأة في البيت تكون سببا للسعادة، كما إنها تضيف بعض الخصوصية على الحياة بخصوماتها وصراخها الذي يكون بعده فيض من الحنان ، وتنسى بكلمة جميلة كل غضبها.

---

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص189.

[2]- محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دط، دار مصر للطباعة، مصر، دس، ص37.

[3]- عبد الحميد بن هدوقة، أمثال جزائرية، ص85.

[4]- محمد صفوت، الأمثال الشعبية، ص39.

[5]- عبد الحميد بن هدوقة، م.س، ص221.

[6]- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ص09.

الفصل الثّالث:

تجلي صورة المرأة في

حكاية "حبّة حبّة الرّمان"

المرأة كانت ولا زالت وستبقى الإنسانة التـ ' ' ـموصياتها، ولها القدرة على أن تكون على أكثر من هيئة، وعلى شاكلات عديدة، المرأة بحنانهـ ـ ـرى الأم الطيبة التي تحب أطفالها، وتحن عليهم، والمرأة بذكائها وغيرتها قد تكون الزوجة التي لا ترضى على نفسها أن تأتي امرأة أخرى تحل مكانها، ولا تسمح لأقرب الناس إلى زوجها بأن يبدوا آراءهم، وما بالك التفكير في التأثير عليه، فالمرأة بأدوارها المختلفة في المجتمع لها تفكير مختلف، فبين فتاة في بيت والدها، أو امرأة في بيت زوجها، وحتى عندما تكون أماً فرق كبير.

أ. حكاية حبّ حبّ الرّمان[1]:

في مزرعة اجتمعت فيها الألوان السبعة لقوس قزح، مرج أخضر، ينابيع وأنهار، تبعث الفرح في قلوب ناظريها، إنها باختصار جنة فوق الأرض، احتضنت عائلة سعيدة، تكونت من سبعة إخوة كأنهم في تراحمهم وترابطهم عقْد ذهبي ولكن لم يكن هذا العقد ليكتمل جماله إلا بماسة متلألئة تشع نوراً كأنها أشعة شمس، هذه الماسة أختهم التي أتت إلى الدنيا بعد طول انتظار وشغف بها.

يوم بعد يوم بدأت الفتاة تكبر وأصبح جمالها مبهى ووجهها كأنها قمر ينير ليلة ظلماء، إنها اللون الثامن لقوس قزح ينبهر بجمالها كل من يراها.

[1]- حجريوة اللويزة، حبّ حبّ الرّمان، 2013/01/12، منطقة خراطة.

كانت هذه الفتاة قرة أعين إخوتها الذين لا يرتاحون بعد مشقة العمل إلا برؤيتها ولا يتلذذون بطعم طعام إلا بحضورها، لا يبتسمون إلا بابتسامتها، فكانت الآمر والناهي بعد وفاة والدتهم، إنها السعادة، إنها السكينة، إنها الأمل والحب، بل الوجود بكل معانيه الجميلة، لدى إخوتها السبع. ولتكتمل الفرحة طلبت الفتاة من إخوتها الزواج وكانت هي التي اختارت هاَته النساء ليكن زوجات لإخوتها، فاختارتهن من بين كل الفتيات، ولكن وضعوا جميعهم شرطاً واحداً لن يتم أي اقتران إلا بعد قبوله، ألا وهو القبول بأختهم على أنها ستظل قرة عيونهم التي يرون بها كونها النور الذي يضفي على حياتهم الأمل والحب.

وفعلا تزوج الإخوة السبعة، فأصبح للفتاة سبع زوجات إخوة، فعلى الرغم من وجودهن، إلا أن الفتاة قد ظلت محبوبة من قبل إخوتها فلا زالت أول ما يسألون عنه حين يلجون باب البيت عائدين من أشغالهم المختلفة ومن الطبيعي أن يكون هذا الحب الكبير الذي يكنه الإخوة لأختهم سبباً في نشوب نيران الغيرة وتأججها في نفوس زوجات الإخوة، فأصبحن يفتعلن المشاكل، عسى أن يساهم ذلك في تقليل الحب الذي يكنه إخوتها لها، ولما لا عكسه حقداً وكراهية.

وفي يوم من الأيام اجتمعت الزوجات، ما عدا زوجة الأخ الصغير التي كانت عند أهلها زائرة، فبدأن يفكرن في مكيدة تخلصهن من الفتاة نهائياً، ومن دون أن يثير ذلك أدنى الشكوك عند أزواجهن، وبعد طول بحث وإعمال فكر، وضعن خطة شيطانية، فقمن بجمع سبع بيضات أفاعي على وشك أن يفقصن، فاتفقن أن تقول زوجة الأخ الكبير حين تكون الفتاة حاضرة: من تستطيع أن تبتلع البيضات دون كسرها ومضغها، فتقول كل واحدة من الزوجات الأخريات: لا استطيع! لا استطيع فعل هذا، لتصبح المسألة كأنها تحد.

حضرت الفتاة وبدأت الزوجات في تمثيل مسرحيتهن الشريرة، فقبلت الفتاة بالتحدي، وفعلا استطاعت أن تبتلع البيضات جميعها دون كسرها ومضغها أيضاً.

هكذا إذن بلغت زوجات الإخوة الشريرات، مقصدهن. وبعد شهور قليلة بدأ بطن الفتاة في الانتفاخ وبدأت تظهر عليها علامات الحمل، ولكن الحقيقة التي لا يعلمها إلا اللّه وزوجات الإخوة، أن ذلك الانتفاخ كان نتيجة فقص بيضات الأفاعي في بطنها، فامتلأ بطنها بالثعابين التي بدأت تكبر وتكبر من يوم إلى أخر، فتغلب بهذا كيد النساء على سذاجة الرجال وقمن بطعن الفتاة في شرفها وأصبحن يرددن بإلحاح على مسامع أزواجهن: إن أختكم جلبت للعائلة ما لا يمكن أن يغتفر، إنها جلبت لكم العار بعينه. وعلى الرغم من أن الفتاة كانت أنقى من قطرات الندى، إلا أن الإخوة لم يمنحوا لها أدنى فرصة لشرح وضعها أو الدفاع عن نفسها، وصدقوا زوجاتهم بسهولة متناهية، لأن كل شيء كان يبدو وكأنه الحقيقة، فأشارت النسوة على أزواجهن بالتخلص منها درءاً للفضيحة، وفعلاً قام الإخوة السبعة بحفر قبر لأختهم في إسطبل الأحصنة، فقاموا بدفن التي كانت قرة عيونهم، وكانت تنظر إليهم، وهم ينثرون عليها حبات التراب، نظرة مزجتها أحاسيس اللوم والأسى والخوف.

قام الإخوة، بعد دفن الأخت، ببيع كل ممتلكاتهم وغادروا المنطقة إلى مكان آخر بعيد، وتركوا أختهم تصارع وحشة القبر لوحدها، وكان الملك الذي اشترى المزرعة، قد انتقل للعيش فيها، وأمر خادمه بربط الأحصنة في الإسطبل، فأخذ الخادم حجراً كبيراً ووتداً صلباً وبدأ يغرس الوتد في الأرض كي يربط فيها لجام الفرس، فأصاب رأس الفتاة، فقالت له: يضربك ربي مثلما ضربتني، فلم ينتبه الخادم لصوتها الضعيف المنبثق من تحت التراب، وأكمل عمله فصاحت قائلة: يضربك ربي مثلما ضربتني.

ارتعد الخادم وخاف أيما خوف، فذهب مهرولا ومسرعاً إلى سيده، فقال: سيدي !! إن.....إن.....إن الإسطبل يتكلم !! فاندهش الملك من قول خادمه، وذهب مسرعاً إلى الإسطبل، فحاول أن يغرس الوتد في الأرض من جديد، فصاحت الفتاة قائلة: يضربك ربي مثلما ضربتني. قال لها

الملك وهو مضطرب: أنت جنس أو ونس؟ قالت: ونس، قال: ماذا تفعلين هنا؟ قالت: أخرجني وسأحكي لك حكايتي من أولها إلى آخرها.

أخرج الخادم الفتاة من تحت التراب، فنظر إليها الملك، فصاح مسبحاً، سبحان الله !!ما هذا الجمال أهي فتاة أم ملاك في هيئة بشر؟ وحين رأى حالتها المزرية، أشفق عليها ضناً منه أنها حامل. قال لها: ما حكايتك أيتها المخلوقة؟، قالت: من أين أبدأ يا سيدي فبدأت تحكي والدموع سائلة على خديها حتى أحمرت مقلتاها. قال الملك: لا تخافي ولا تحزني ولا تقلقي، إني معك، سأساعدك وسأحميك.

بدأ الملك يفكر في كيفية تخليص الفتاة من مشكلتها فذهب إلى القرية باحثاً عن دواء يشفيها، فدله أهل القرية على حكيمهم الذي كان ماهراً جداً في حل أصعب المشاكل وأعقدها، فجلبه الملك إلى مزرعته وعرض عليه الفتاة ، فقال الشيخ بعد أن قام بتشخيص حالتها والتمعن فيها: إن في بطنها ثعابين فقال الملك: وما دواؤها أيها الحكيم؟ قال الحكيم: لكل علة حل، ولكل داء دواء، إن دوائها أن تجلب بقرة بكر سمينة تكون سوداء اللون، اذبحها، واجعل لحمها مالحاً وقم بشوائه وأعطه للفتاة تأكل منه ما استطاعت، واحرص كل الحرص على منعها من شرب الماء، وهكذا ستهيج الثعابين في بطنها من شدة العطش، واربطها من رجليها إلى أعلى، وأجعل رأسها إلى أسفل، وضع تحته إناءً كبيراً من الماء، وأعمل على تحريك الماء بعصا، وحينما تستمع الثعابين لصوت الماء، ستنزل حتماً للبحث عنه.

طبق الملك كل ما قاله الحكيم، وفعلاً بدأت الثعابين تخرج من بطن الفتاة الواحد منها تلو الآخر، حتى أضحت الثعابين سبعة، أي بحسب عدد زوجات الإخوة. فك الملك رباط الفتاة وانزلها، وسطعت أمامه، بالتالي، براءتها وعفتها ونقاوتها، قال لها: ماذا ستفعلين بهذه الثعابين؟ قالت: أحتفظ بها، إنها دليل براءتي أمام إخوتي، فقامت بقتلها بمساعدة خادم الملك، ثم يبستهم إلى أشعة الشمس، وجمعتهم في "القربة".

بعد أن عرف الملك حقيقة الفتاة، طلب يدها للزواج، ووعد أن يجعل منها أميرة على عرش قلبه، تسكن عيونه وتملك حياته، فوافقت على طلبه، وعاشت معه حياة ملؤها السعادة والحب والحنان، حتى رزقا بصبي بهي الطلعة، وكأنه في جماله وروعته ملاك صغير، أطلقا عليه اسم "حبّ حبّ الرّمان".

بدأ الطفل الملاك يكبر ويكبر، حتى أضحى عند أمه سراجاً ينير دربها، ترى جمال الدنيا وما فيها من خلال مقلتيه الصغيرتين ، إنه بحق قد ملئ عليها الدنيا فرحاً، حباً وأملاً، وفي يوم من الأيام خرج"حبّ حبّ الرّمان" ليلعب مع أقرانه، فعايروه وشتموه، وجرحوه بالكلام، حيث إنهم قالوا له: ليس عندك أخوال، فعاد أدراجه إلى البيت باكياً وشاكياً إلى أمه: هل صحيح يا أماه أنه ليس لي أخوال؟ قالت: لا يا قرة عيني، إن لأمك سبعة إخوة، شاءت الأقدار أن تفرق بيننا لكن كن على يقين أن هذه الحياة ستمنح لنا فرصة لقاء الأهل والأحبة، فعندما يعود أبوك من أشغاله أطلب منه بإلحاح أن يأخذنا إلى أخوالك.

عاد الملك من أشغاله، ولم يكد يلج باب داره، حتى استقبله ولده، معانقاً وقائلاً: يا أبتي خذني إلى أخوالي. إن أقراني قد عايروني بأن لا أخوال لي. أشفق الملك على ابنه، وأذرف الدموع من أجله، وبعدها قرر قبول طلب ابنه، لكن بشرط، أن يصطحبا معهما الأم الزوجة التي قبلت بصدر رحب العرض والذهاب معهما، حيث إنها كانت تترقب وصول هذا اليوم بشغف منذ سنين طوال، ذلك اليوم الذي ستثبت فيه براءتها أمام إخوتها.

أعد الملك وزوجته وابنه العدة للمغادرة والسير تجاه الإخوة والأخوال ولكن بعد المغادرة، قامت الأم بتوصية ابنها عندما يصلون عند أخواله، وبعد العشاء، يقول لها لن أنام يا أمي حتى تحكي لي حكاية .... فقال الابن لن أنسى أبداً.....

وبعد غد وفي صباح باكر جاء موعد المغادرة للقاء الأحبة بعد طول الفراق، وحملوا معهم خير ما لذّ وطاب، ولم تنس الأم حمل دليل براءتها الذي ستواجه به الزوجات الشريرات، وانطلقت العائلة قاصدين

المدينة التي استقر فيها الإخوة والأخوال، وبقدر ما كان "حبّ حبّ الرّمان" مسروراً وفرحاً لأنه سيرى أخيراً أخواله ويلتقي بهم، كانت أمه تفكر بالقدر نفسه كيف ستواجه إخوتها، فعادت بذاكرتها أثناء الطريق إلى تفاصيل طفولتها التي عاشتها في كنف إخوتها وحنانهم. فعلى الرغم من أنها كانت يتيمة الأبوين إلا أنها لم تحس يوماً بغيابهم، كل هذا أضرم في قلبها نيران الشوق إلى رؤية الإخوة، ونيران الانتقام من الزوجات اللاتي تسببن في ضياع الشمل وصلة الرحم.

وبخطى متسارعة، وصلت العائلة للديار. دقت الباب ومع كل دقة تزداد دقات قلبها، وهو أن اللقاء حان أوانه، وفجأة فتح معه دفتر الذكريات، كانت هي التي فتحت الباب، إنها زوجة الأخ الكبير، قالت بابتسامة نعم يا سيدتي ماذا تريدين؟ وعمن تبحثين؟ فقالت الفتاة أنا أبحث عن سبعة إخوة يعيشون هنا، فقالت الزوجة: إنهم هنا يا لحسن حظك، أدخلي، مرحباً بك، فدخلت الفتاة مع زوجها وابنها ولم تنسى القربة.

ما أن خطت عتبة البيت حتى خرج الإخوة، وهنا كانت اللّحظة لحظة لقاء الأحبة، أحبة فرقتهم المكيدة وجمعهم القدر، تعرف عليها إخوتها بمجرد رؤيتها، كيف لا وقد ربوها منذ كانت طفلة صغيرة، ملامحها بقيت هي لم تتغير، جمالها، وعيونها وكل شيء فيها، أرادوا أن يحضنوها وهي أرادت لو تجري إليهم لعناقهم ولكن عادوا إلى ماضي بعيد كيف أنهم قد قاموا بدفن أختهم الوحيدة حيّة، كيف خرجت، ومن قام بمساعدتها؟ وساورهم الشك بأنها امرأة تشبهها،.....

فإن كانت أختهم فذلك الطفل الذي اصطحبته معها يكون ذلك الابن غير الشرعي، وكأن الشك تأكد والحقيقة ظهرت، هذا يعني أن ما قالته النسوة صحيح.

قالت الفتاة لابنها: يا ولدي هؤلاء أخوالك، فطلبت الفتاة الإذن بالجلوس، فجلس زوجها الملك وابنها هي، وطلبت من زوجات إخوتها أن يدخلن كل ما أتت به، ويطبخن وليمة للعشاء، وبعد ذلك سألن من

تكون هذه المرأة فقال الإخوة إنها أختهم فهلعن وخفن كثيراً حتى كدن يسقطن من شدة الخوف، لأن الحقيقة بدأت تظهر وكل الأسرار بدأت تتلاشى لتظهر الحقيقة ويزهق الباطل فالمظلوم مهما أخذ من حقه يأتي يوم و يفرج عليه، فبدأت كل التساؤلات: أين كانت ؟ و من خلصها؟.

و بعد العشاء اجتمعوا كلهم فقال الابن : يا أمي أريد أن أنم احكي لي حكاية كما تعودت، فقالت:أكيد يا ولدي، فأخذت تحكي له حكايتها، كيف قامت زوجات إخوتها بالمكيدة البشعة والحيلة الخبيثة لمس شرفها الذي كان أنقى من الندى، و كلما روت سال الدمع من مقلتيها، فبدأت بإخراج الثعابين من القربة واحدا واحداً وهي تنشد و تقول "حب حب رمان أميمي أميمي، مادارو فيا نسا خوالك ومرات الصغير ما حظرت، اتهموني و قالوا جبت العار و العار فيهم"، وهكذا عرف الإخوة بأن أختهم كانت بريئة من تهمة زوجاتهم.

وهكذا كانت نهاية الخداع والنفاق و الكذب فالله يمهل ولا يهمل و كل كذبة لها حد ونهاية.

فماذا كانت نهاية الزوجات الحاسدات؟

كانت نهايتهن أن ربط الإخوة ضفائر زوجاتهم، إلى ذيول الأحصنة وانطلقت الأحصنة تجري وتجر النسوة وراءها، ما عدا زوجة الأخ الصغير لأنها لم تكن حاضرة في المكيدة وماتت النسوة كلهن وقامت الفتاة بعدها بتزويج إخوتها الستة مرة أخرى، وكانت هذه الزوجات صالحات وجميلات وهكذا عاد الحق إلى أصحابه، وبانت الحقيقة وكان "حبّ حبّ الرّمان" سبباً في إعادة البهجة والفرح إلى قلب أمه، عادت الأم وابنها وزوجها الملك إلى بيتهم، وعاد الوصال وعادت الألفة بين الإخوة.

ب. دلالة العنوان "حبّ حبّ الرّمان":

يمكن أن نعطي للعنوان احتمالات عديدة، وقراءات متعددة، فإذا أسندنا كلمة الرّمان إلى القرآن مثلا فإن الرمان مذكور في القرآن كفاكهة في قوله تعالى:"**والزّيتون والرّمان مشتبها وغير متشابه**"[**الأنعام،**

الآية 99]، ومعنى الآية: قوله "**(ثمره وحبّه) لُفّ ونُشر ورتب. قوله(والزيتون والرّمان) معطوف أيضاً على جنات وخصّهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل. قوله(متشابهاً) هو بمعنى مشتبهاً المتقدّم، [...] قوله (كلوا من ثمره)هذا أمر إباحة. قوله (قبل النضج) أي استوائه ووجوب الزكاة فيه فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيؤ له ولا يحسب عليه شيء للفقراء أما بعد النّضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته. قوله (زكاته) هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك**"[1].

هذا إذا رددنا دلالة الرّمان إلى القرآن، الذي قال عنه العلامة بأنّه أشرف الثمار مع الزيتون بعد النخيل، بمعنى أن الرّمان له مكانة كبيرة بين الثمار، فالرّمان فاكهة ذات مقام رفيع ودرجة عالية، وأن الله جل جلاله رفع من شأنه وقدره حين ذكره في القرآن. أما إذا أردنا تحليل العنوان كعنوان للحكاية فلنا أن نقول أشياء كثيرة، لكل منّا مفهومه الخاص، ولكل منّا نظرته الخاصة به. قد تجول في خواطرنا العديد من بالتفسيرات والأقوال، فيمكن أن نقول بأن هذه الفتاة هي حبة الرّمان من الخارج قشرتها صلبة. وتظهر للعيان بأنها صعبة المراس، وصعب الحصول عليها، ولكن من الداخل هي امرأة بكل ما تحمله هذه الكلمة من الحب والحنان والعطف الذي تكنه لإخوتها.

يمكن أن نقول – وهذا الأرجح في الأغلب – أن الفتاة عند ولادة ابنها أعطت له اسم "حبّ حبّ الرّمان"، لماذا؟ ليكون عنواناً لحكايتها، كيف؟ الفتاة اتهمت في شرفها وطهارتها وعفتها ولم يكن لها أن تدافع عن نفسها، فأعطت، الاسم لابنها ليكون الدليل فحبّة الرمان هي حبة قشرتها صلبة، داخلها حبات لونها وردي غامق وداخل هذه الحبة يوجد حبّة أخرى، فهذه الأخيرة هي ابنها.

إن الفتاة طاهرة ونقية كما هو الحال عند حبة الرّمان، ويمكن أن نقول إن حبّة الرّمان هي بالفعل تجسيد لهذه الحكاية، التي كانت نموذجاً من نماذج كثيرة قيلت في الزمن الجميل، هذه الحكايات في وقتها

[1]- أحمد الصاوي المالكي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ط1، المكتبة العصرية، لبنان، 2002، ص85.

لم يكن يمكن للسارد أو القاص أن يحكي عن أمور كهذه، وإنهما كانوا يرمزون إليها، "حبّ حبّ الرّمان" دليل الطهارة والعفاف.

هذا تفسير استندنا من خلاله على الحكاية، وحاولنا أن نجمع بين حبّة الرّمان والدلالات التي يمكن أن تأخذها هذه الحكاية، والأبعاد التي يمكن أن تصل إليها، قد يأتي أحد ما ولا يوافقنا الرأي، لأن هذا الرأي يبقى رأياً خاصاً، ونتيجة استنتاجاتنا من خلال الحكاية، وهذا الرأي يحتمل الصّواب، كما يحتمل الخطأ.

3. صورة المرأة في الحكاية:

في حكاية حبّ حبّ الرّمان لدينا ثلاثة صور مختلفة للمرأة فالحكاية أخذت من واقع له خلفية معرفية معينة، فالمجتمعات القديمة كانت هذه هي نظرتهم إلى المرأة، والحكاية التي بين أيدينا صُوّرت فيها المرأة بشكل لافت، أخت مكافحة من أجل جعل حياة إخوتها حياة سهلة ومليئة بالسّعادة، وزوجات يغرن من كونهن في المرتبة الثانية بعد الأخت، وأم رغم معاناتها وكل ما مرّ بها، تحاول أن تربي ابنها تربية صالحة، بعيداً عن كل المشاكل التي قد تواجهه عند كبره، وترى فيه الأمل في الحياة.

أ. صورة الأخت:

الأخت في هذه الحكاية هي الفتاة التي انتظرها الإخوة بشغف وبحب، هي الفتاة التي تنشأ في عائلة تتسم بالاستقرار العاطفي على الرغم غياب الوالدين، لأن الإخوة عوضوا حنان ودفأ الوالدين أحسن تعويض، فلقد كانت "**قرة أعين إخوتها ، لا يرتاحون بعد مشقة العمل إلا برؤيتها ولا يتلذذون بطعم طعام إلا بحضورها، لا يبتسمون إلا لابتسامتها**"[1]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن حياتهم بدونها لا معنى لها.

[1]- ينظر البحث في الصفحة 49.

الفتاة لها شخصية متزنة أولها ما يسمى الشخصية المتسقة وهي شخصية "**تنطوي على اتساق في السمات وتنم عن صفات تكمل الصّفة الواحدة منها للأخرى، بحيث يتمكن صاحبها من ممارسة السلوك الناجح والاقتصاد في المجهود، تتضافر فيها مختلف العناصر بغية تحقيق الانسجام النفسي والوصول إلى التكامل في شتى مجالات الشعور والإرادة والنشاط الحركي والذهني**"[1]، وهذا ما يتأكد لنا من خلال أطوار الحكاية، فالفتاة نشأت في بيت كله حب وحنان وسعادة، فكانت دائماً تعيش وسط جو من الهدوء والسكينة، ولّدا في نفسيتها الاستقرار النفسي والعاطفي ممّا جرّ عليها العواقب الوخيمة عندما قامت بابتلاع بيضات الأفاعي دون تفكير أو محاولة طرح الأسئلة بخصوصها ؟ فهي فتاة لم تتعود العيش وسط جو من المشاكل والحقد والضغينة، لهذا لم تشك في زوجات إخوتها، لأنها كانت تعتقد بأن كل الناس طيّبون ومتحابّون مثلها، ولا يمكن لأحد أن يفكر بإيذائها.

الفتاة لغاية ما طلبت من إخوتها الزواج والاستقرار في بيوتهم، فالمرأة في المجتمع الجزائري في الماضي لا تقوى على التعبير عمّا تريده، ولا تستطيع التعبير عمّا يخالجها من شعور وأحاسيس، فنفس الإنسان ما هي في النهاية إلاّ رغبات يحاول الفرد تحقيقها ولكن بسلطة المجتمع قد يكبح الفرد رغباته، لهذا فإن الأخت وكأنّها تطلب من إخوتها الاستقرار لأنها هي بحد ذاتها تناشد الاستقرار، وتريد هي أيضاً الزواج، وأن يكون لها بيت وزوج وعائلة مثلهم، هي لا تريد أن تتركهم وحدهم عند ذهابها، وبالتالي فكرت في تزويجهم حتى يتسنى لها التفكير في حياتها، لأنها لا تستطيع أن تبوح لهم عمّا يخالجها من مشاعر وأحاسيس لأن هناك سلطة الأنا الأعلى كما يسميه فرويد، الذي هو "**انعكاس لقيم الوالدين وصدى لنوع التهذيب والتربية الذي يأخذ به الطفل في البداية وتشبع بمثل المجتمع وقيمه ومعايير في آخر الأمر، مما يجعله بمثابة الرقيب الذاتي على مسالك الشخص ورغباته وتخيلاته، فيقبل بعضها ويرفض بعضها الآخر مثيراً فينا الخوف من العقاب إذا تمادت الرغبات وجنحت التصرفات في انحرافها عن القيم**

[1]- خليل أبو فرحة، الموسوعة النفسية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص39.

المودعة فيه"[1]، بمعنى أن الفتاة خافت من سلطة العرف والمجتمع الذي لم يكن يسمح للفتاة أن تبدي رأيها في أحد ما إذا تقدم لخطبتها، وما بالك أن تقول بأنها تريد الزواج، لأنها بذلك تكون قد تمردت على قوانين المجتمع وأعرافه.

الأخت بقيت على طول الدرب محافظة على الحب الذي يكنه لها إخوتها، فعلى الرغم من زواج إخوتها فقد "**ظلت محبوبة من قبل إخوتها فلا زالت أول ما يسألون عنه حين يلجون باب البيت عائدين من أشغالهم المختلفة**"[2].

ب. صورة الزوجة:

الزوجة في هذه الحكاية لم تكن فرداً واحداً إنما كنن سبعة، على عدد إخوة الفتاة لأنها قامت بتزويج جميع إخوتها، وهذه الزوجات كانت من اختيار الفتاة، وقبل الزواج كان للإخوة شرط واحد ألا وهو، أختهم التي يجب احترامها كما يحترمن أزواجهن، ولها مقام عالي، ويجب القبول بها على أنها الآمر والناهي في البيت، فقُبل الشّرط مع نية خبيثة، لأنهن كنّ متأكدات بأنهن يستطعن أن يغيرن الأمور لصالحهن ولو كان ذلك بالمكيدة والخديعة.

تم الزواج، وبدأت المشاكل مع أخت أزواجهن، ولم يكنّ يطقن الطريقة التي كانت تُعامل بها من قبل إخوتها، وكنّ يغرن كثيراً كونها جميلة والكل يحبّها، هذا الحبّ ظل يكبر بين الإخوة كان "**سبباً في نشوب نيران الغيرة وتأججها في نفوس زوجات الإخوة فأصبحن يفتعلن المشاكل عسى أن يساهم ذلك في تقليل الحب الذي يكنه إخوتها لها ولما لا عكسه حقداً وكراهية**"[3]. وهذا دليل على أن الزوجات لم يَكُنَّ يحبن الفتاة أبداً، وهذا الشعور بالحساسية بين الفتيات وزوجات إخوتهن موجود في الأسر الجزائرية،

---

[1]- راضي القفي، مقدمة في علم النفس، ط3، دار الشروق، الأردن، 2003، ص ص572- 573.

[2]- ينظر البحث في الصفحة 50.

[3]- ينظر البحث في الصفحة 50.

ومتواصل إلى اليوم، وبما أن هذه الحكاية أخذت من الواقع فإن هذا هو الأصل، زوجات الإخوة لا يشعرن بأنهن يمكن أن يَكُنَّ صديقات مع الفتيات في البيت، بينهن نوع من الغيرة، نوع من الحسد والكراهية، ويمكن لأي واحدة أن تفعل أي شيء، أي تفتعل أي مشاكل فقط لإرضاء غرورها أو التنفيس عن نفسها، وقد تسعى زوجة الأخ لاختلاق جو من التفاهم، ليس حبّاً في أخت زوجها، وإنّما مُحاولة أن تظهر ثوب الملاك أو الضّحية وهذه المواقف كثيرة في الأسر والعائلات الجزائرية.

الزوجة لها شخصية سيكوباتية وهي "**شخصية الفرد الذي يعاني من انعدام الاستقرار العاطفي إلى درجة تقترب من الحالة المرضية، لكنها لا تنم عن خلل عقلي محدّد أو مميّز، بل يقتصر صاحبها عن تحقيق التوافق مع محيطه الذي يعيش فيه، والسيكوباتي مصاب بالفجاجة العاطفية وعدم النّضج الأخلاقي، قليل التبصير في عواقب الأمور، عصبي المزاج وسريع الغضب والانفعال**"[1].

وهذه هي حال زوجات الإخوة اللائي لا يفكرن في العواقب الوخيمة التي تنجر وراء افتعالهن المشاكل مع أخت أزواجهن، ولو طال الزمن أو قصر فإن ألاعبهن ستظهر، وينكشف المستور والخفي.

الغيرة التي أصابت الزوجات من أخت أزواجهن دفعتهن إلى افتعال مشكل كبير للفتاة كلّفها حياتها، فكرن بتفكير واحد ما عدا زوجة الأخ الصغير، فكرن في طريقة تُبعد الفتاة عن المنزل دون أن يشك الأزواج أنها مكيدة، وبما أن الإنسان مسير في الحياة وفق غريزتين هما "**غريزة الجنس أو الحياة أو ما أسماه الليبيدو LIBIDO، وتتمثل هذه الغريزة في الاندفاع نحو اللّذة في الجنس والأكل والشرب، وغريزة الموت والعدوان وتتمثل في الابتعاد عن الألم**"[2]، بمعنى أن هذه الزوجات كن مدفوعات بغريزة

[1]- خليل أبو فرحة، الموسوعة النفسية ، ص39.

[2]- راضي الواقفي، مقدمة في علم النفس، ص570.

الموت والعدوان، لأنهن كن يبحثن عن أحد ليفرغن الشحنات السلبية التي كانت تعتريهن، وبالتالي فكرن في وضع خطة شيطانية لا يمكن لأحد أن يشك بأمرهن ولو مجرد الشك.

كانت بيضات الأفاعي هي الحل الخطة التي لا يمكن كشفها ولو حاول الإخوة ما استطاعوا، لأنه بمجرد فقص بيضات الأفاعي في بطنها فإن الأمر سيبدو كأنه حقيقة، وكأن الفتاة ضربت بالقيم الاجتماعية عرض الحائط، وكأن الفتاة باعت شرف العائلة بأرخص الأثمان، ولم تحسب حساب إخوتها الذين ربّوها منذ كانت صغيرة، ومنحوها حبهم وعطفهم، إلى درجة أنهم فرّطوا في زوجاتهم من أجلها، وهكذا "**تغلب كيد النساء على سذاجة الرجال، وقمن بطعن الفتاة في شرفها وأصبحن يرددن بإلحاح على مسامع أزواجهن: إن أختكم جلبت للعائلة ما لا يمكن أن يغتفر، إنها جلبت لكم العار بعينه**"[1]، وهذا هو حال الزوجة التي ستفعل كل شيء عندما تحس بأن هناك من يشاركها حب زوجها، فالزوجة تصبح لا ترى أمامها الصواب، إن هي رأت بأن زوجها يحب غيرها أكثر منها، وفي كثير من الأحيان تغار حتى من أمه، فالزوجة تُصبح أنانية عندما يتعلق الأمر بحب زوجها لها.

والأمثلة على ذلك كثيرة حتى في واقعنا المعاش، خاصة بين الزوجة وأم زوجها، فالمثل الجزائري يقول"إذا تفاهمت العجوز والكنّة يدخل إبليس الجنة"، فهذا يعني أن الزوجة لها ردة أفعال عدائية أحياناً تجاه الأمور، وتسلك ناحيتها سلوكات وتقوم بأفعال لا يستحقها الموقف، تُحب وتكره وتغار في نفس الوقت، و"**إن حياة الإنسان في نهاية التحليل وسلوكه تجسيد لحرب يدور رحاها في باطن الإنسان نفسه**"[2].

ج. صورة الأم:

[1]- ينظر البحث في الصفحة 50.

[2]- راضي الواقفي، مقدمة في علم النفس، ص 573.

إنقاذ الملك للفتاة والزواج منها بعد حل مشكلتها، جعلها تعيش مرة أخرى، عاشت الحبّ والسّعادة مرّة أخرى، فعلى الرغم من أن الحب كان مختلفا، إلاّ أن سعادتها فاقت تلك السعادة التي أحست بها حينما كانت في أحضان إخوتها، صحيح أن إخوتها منحوها حبّهم وحياتهم، ولكن زوجها منحها حباً من نوع آخر، أعطى لها السّعادة، أحست بأنها ولدت من جديد، وأنها تستطيع أن تقاوم الحياة وصعابها، وتستطيع أن تثبت براءتها أمام إخوتها وإن طال الزمن.

هذا الزواج جعلها تختبر إحساساً من نوع آخر، إحساس الأمومة، هذا الإحساس الذي أعطاها الأمل في الحياة، والذي منحها متنفساً آخر بعد أن أزال عنها زوجها الهموم والآلام، ابنها هذا الذي رزقت به أحبته حباً جماً، ومنحت له حبّها وحنانها، وجلّ وقتها، كيف لا وقد أصبح أملا تعيش من أجله.

"حبّ حبّ الرّمان" **كان اسمه، كان الطفل قصتها التي اكتملت بمجيئه، و"بدأ هذا الطفل الملاك يكبر ويكبر، حتى أضحى عند أمه سراجاً ينير دربها، ترى جمال الدنيا وما فيها من خلال مقلتيه الصغيرتين، إنه بحق قد ملأ عليها الدنيا فرحاً وحباً وأملاً"**[1]، هذا الطفل الصغير أعطاها إذن إحساس الأمومة الجميل، هذا "**السلوك الأمومي الذي يتمثل في الحب، الحنان، التعاطف، القلق والاهتمام الذي تبديه الأم نحو طفلها يكاد يكون سلوكاً عالمياً عاماً**"[2]، نعم هذه العاطفة التي تحس بها الأم تجاه أبنائها موجودة لدى كامل الأمهات، فالأم قبل أن تكون أماً تكون لها استعدادات فطرية لكي تكون أماً، وتتصرف بطريقة عاطفية دون إدراك منها، لذا فإن غريزة الأمومة موجودة لدى الفتاة حتى قبل الزواج، لأنها تفكر في الزواج وإنجاب الأطفال، وتفكر في كل هذا بطريقة عاطفية، **لأن "استجابات الأم العاطفية نحو**

---

[1]- ينظر البحث ص53.

[2]- راضي الواقفي، المرجع نفسه، ص334.

صغيرها تعتمد إلى حدّ كبير على خبراتها التي تكتسبها كطفلة في أسرة أولاً، وكفرد في المجتمع ثانياً، ومن خلال تفاعلاتها المبكرة مع الطفل ثالثاً"[1].

وهذا ما يؤكد ما قلناه من أن الفتاة تكون لها استعدادات حتى قبل الحمل، لأنها كانت تعيش في أسرة ومن أهم دعائم هذه الأسرة الأم، فالفتاة تتأثر بأمها وترى كيف تكون معاملتها لأفراد أسرتها، تحن عليهم وتدفع عنهم الأذى، لذا فهي تكبر وهذا الشعور بالحب تجاه الأطفال يكبر معها انطلاقا من تأثرها بأمها، وأيضاً كفرد من أفراد المجتمع، ولأنها تعيش ضمن منظومة اجتماعية تتأثر بما حولها، فهي ترى العائلات كيف تعيش، وكيف أن الأمهات يساهمن بقسط كبير في بناء شخصيات أبنائهن، وأيضاً من خلال تجربتها الشخصية، لأنها عندما تصبح أمّاً، وتحتك بأبنائها فإنها تختبر هذا الشعور حقيقة، وتتذوق حلاوة الإحساس بالأمومة.

الأم عندما ترى ابنها باكياً أو يشكو من شيء، فإنها تفعل المستحيل لكي تخفف عنه، وتحاول أن تدفع عنه ما يزعجه، "حبّ حبّ الرّمان" عاد إلى أمه في يوم من الأيام باكياً وشاكياً قائلاً "**هل صحيح يا أماه أنه ليس لي أخوال؟**"[2]، لقد عايره أصدقاؤه أن لا أخوال له، هذا ما جرح الأم التي لم تستطع أن تتمالك نفسها، فطلبت منه أن يطلب من أبيه أن يأخذهما إلى أخواله، لأنها لا تريد أن يبكي ابنها. وهنا يكون المنعرج الحاسم للحكاية. هنا ظهر الحب الحقيقي الذي تكنه الأم لابنها، فهي على الرغم من أن إخوتها دفنوها وهي حية، وعلى الرغم من أنهم لم يمنحوا لها حتى حق الدفاع عن نفسها، إلاّ أنها لا تزال تعدّهم إخوتها وهم أخوال ابنها، لم تنس أنهم منحوها كل سّعادة العالم، لم تنس أنهم عوضوها حنان الأم ودفء الأب، ولم يستغنوا عنها لأنهم يريدون ذلك بل حتمت عليهم الظروف أن يفعلوا ذلك، فهذا ما تدركه تمام الإدراك.

---

[1]- راضي الواقفي، المرجع نفسه، ص335.

[2]- ينظر البحث الصفحة 53.

لم تنس الفتاة أخذ قربة الأفاعي معها، لأنها دليل براءتها، ففي النهاية هي امرأة ولا تفهم المرأة إلا امرأة مثلها، لذا لم تستغن عن الأفاعي بل حملتها معها لتقابل بها زوجات إخوتها، وبواسطة الأفاعي عرف الإخوة ما كانت تُخبؤه زوجاتهم، صحيح أن الزوجات عشن حياة سعيدة بعد التخلص من الأخت، ولكن هذا الهدوء كان ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة، لأن الفتاة عادت وكانت أماً حقيقية بزواج شرعي، لأن فتاة مثلها بكل احترامها لذاتها، وبكل ذلك الحب الذي يكنه إخوتها وجيرانها لها لا يمكن إلا أن تكون طاهرة، شريفة وعفيفة.

4. تقاطع حكاية حبّ حبّ الرّمان مع حكاية أبو وذميم أميمي:

أ. حكاية أبو وذميم أميّمي:

كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، كانت هناك عائلة تتكون من الصّيّاد وزوجته وابنته.

وفي يوم من الأيّام، ذهب الصّيّاد للصّيد كعادته، فاصطاد حجلة حيّة فجاء بها إلى البيت، وعندما رأت ابنته الحجلة أعجبتها، طلبت من والدها أن يمنحها لها لكي تلعب بها قليلاً، ولكن الأب رفض، ولّما رأت الأم ابنتها تبكي ألحت على زوجها بأن يمنح الحجلة للطفلة، وبعد إلحاح من البنت وأمّها قبل الصّيّاد ولكن بشرط: إذا طارت الحجلة فإنّهما ستخرجان من نفس المكان الذي ستخرج منه الحجلة، ولن تعودا إلى البيت إلا بإحضارها.

قبلت الأم بالشّرط، وهمّ الأب، بإعطاء ابنته الحجلة وما إن أرادت أن تمسكها حتّى طارت الحجلة، ووفت المرأة بعهدها، فحملت ابنتها وخرجتا من نفس الباب الذي خرجت منه الحجلة.

بدأت الأم تمشي وهي حاملة ابنتها، تمشي وتمشي إلى قدر مجهول، وبعد حلول الظّلام لم تجدا أين تذهبان، فوصلت إلى شجرة كبيرة في الغابة، يقال لها (شجرة الوحوش)، تجتمع تحتها، عند نزول

الظلام، كل أنواع الحيوانات، فصعدتا إلى قمة الشجرة، وأرادتا النّوم فوقها إلى غاية طلوع الشمس، ولكن ابنتها أرادت أن تقضي حاجتها، فقالت لها أمها، افعليها فوق الشجرة، لأنّك إذا نزلت سوف تأكلك الحيوانات، ففعلت الفتاة ما قالت أمّها، فنزلت قطرة على وجه النمر، فأيقض جميع الحيوانات، شّكت الحيوانات في وجود أحد ما فوق الشجرة، فبدأت في التّشاور من سيقوم بالصّعود للتأكد من الأمر، فقرروا إرسال الأفعى، فذهبت، ولما وصلت إلى أعلى وجدت المرأة وابنتها فلسعت المرأة، فسقطت وبقيت الفتاة فوق الشجرة.

بدأت الحيوانات تأكل تلك الأم، فوجدوا في بطنها طفلاً، فأخذوه ووضعوه جانباً، ولكن أنثى الأرنب أحسّت أن هناك أحد بقي فوق الشجرة، فأطلت الفتاة فرأتها، فقالت لها: انزلي إلى الأرض ما دامت الحيوانات منشغلة بأكل أمّك، خذي أخاك واهربي، فقالت لها الفتاة : كيف سأربيه وماذا أفعل؟ أنا صغيرة ولا أكاد أفقه شيئاً في الحياة، فقالت لها أنثى الأرنب: خذيه وسيساعدك الله، مري بين أشجار الغابة، وعلى قمم الجبال، وعند قمة كل جبل قولي"يا ربّي، وكتا نشوف خويا كبر ولاّ راجل"، كبر الأخ والأخت، وكانا يعيشان عند عجوز طاعنة في السّن، الفتاة تقوم بالأعمال المنزلية، والفتى يرعى ويقوم بالأعمال خارج المنزل.

وفي يوم من الأيّام، وبينما كانت الفتاة تكنس كالعادة ، وجدت حزمة مليئة بالذهب والمال، فخبأتها، ولم تريها للعجوز، ولّما عاد أخوها في المساء قالت له: وجدت هذه الحزمة في الصّباح، عندما تنام العجوز في الليل، سنهرب ونأخذ معنا هذا المال ونحاول تأسيس حياتنا من جديد.

وفي الليل بعد أن نامت العجوز، أخذت الفتاة أخاها والذهب والمال وغادروا المنزل، قاصدين بيت والدهما، عادا إلى القرية التي ولدا فيها، شقّا طريقهما ولما وصلا إلى منزلهما، وجدا والدهما قد قضى نحبه والقرية قد تغيرت فيها الأوجه وشاخت.

أرادت الفتاة الاستقرار، فقررت أن تزوج أخاها، فاختارت له فتاة من القرية، وأقامت له عرساً كبيراً، دعت فيه كل الجيران والأقارب، واحتفلت بأخيها كثيراً وبزوجته أيضاً، فقد كانت سعيدة لأنها استطاعت أن تربيه وتراه في كل يوم يكبر، إلى أن صار رجلاً وقامت بتزويجه.

كان الأخ يحب أخته كثيراً، كيف لا ومنذ أن فتح عينيه على الحياة وجدها أماه في أحلك الظروف وأصعبها، فلم يكن يرى سواها، ولا يعرف سواها، فهي الأم التي سهرت على تربيته، وذاقت الأمرّين ليكون كما عليه اليوم، لأجل هذا كله كانت أول ما يسأل عنه عند عودته إلى البيت، وسعادته تكمن في سعادتها، لهذا أصيبت زوجة أخيها بالغيرة.

كانت دائماً تفكر في طريقة للتّخلص منها، وفي يوم من الأيام ذهبت إلى السّوق، فاشترت بيض السّمان وبيض الثعابين، بيض السمان، أكلته وبيض الثعابين أعطته لأخت زوجها، فهي أصبحت سمينة وجميلة، أما أخت زوجها فقد فقصت الثعابين في بطنها، وفي كل يوم يكبر أكثر من اليوم الذي قبله.

أصبحت زوجة الأخ كلما دخل زوجها إلى البيت تقول له: إن أختك قد جلبت لنا العار وجعلت شرفنا في الأرض، ولم يكن يصدقها، وظلت وراءه حتى اقترحت عليه أن يضع رأسه على بطن أخته.

وللتأكد من أمر الأخت، طلب منها أن تنزع القمل من رأسه، فوافقت الفتاة، فوضع الأخ رأسه على بطن أخته، وبدأ يسمع صوت الثعابين في بطنها، وصدق زوجته التي أوقعت الفتاة في فخها، وطلب من زوجته أن تدله على طريقة للتخلص منها دون لفت انتباهها.

وفي يوم من الأيام طلب الأخ من أخته الذهاب إلى الغابة للاحتطاب، وعند الوصول إلى الغابة قام الأخ بتعليق قطعة خشبية كبيرة وعريضة على الشجرة، وكان يسمع صوتها عند اصطدامها بالشجرة ليوهم أخته أنه لم يغادر ومازال يحتطب معها، عندما عادت إل المكان الذي تركت فيه أخاها، لم تجد أحداً سوى تلك القطعة الخشبية معلقة على الشجرة، فعرفت أن أخاها تخلى عنها.

وبدأ الظلام في احتضان الغابة، وكانت الفتاة خائفة جداً، لا تريد العودة إلى البيت بما أن أخاها تخلى عنها، فجلست تحت شجرة وبدأت تبكي.

وفيما هي تبكي مرّ رجل على حصان كانت تبدو عليه ملامح الرجولة، وسألها مّا بها؟ فحكت له حكايتها، فأخذها معه إلى بيته، وقام بالاعتناء بها، وجلب لها أمهر الحكماء والأطباء، وقال له حكيم: قم بجلب بقرة سوداء اللون، اذبحها واجعل لحمها مالحاً، واطبخه واجعل الفتاة تأكل منه قدر ما استطاعت، وقم بتعليقها رأساً على عقب إلى الشجرة، واجعل تحت رأسها وعاءً كبيراً من الماء، وقم بإصدار صوت بعمود، فسوف تنزل الثعابين بحثاً عن الماء.

وفعلا قام الرجل بكل ما أمره الحكيم، وتخلصت الفتاة من الثعابين، فأراد الرجل أن يقتلهم ويرميهم إلى البرية تأكلها الحيوانات، ولكن الفتاة لم ترد ذلك بل قامت بتيبيسهم إلى أشعة الشمس وجمعتهم داخل القربة، وبعد ذلك كلّه طلب الرجل من الفتاة الزواج، فوافقت الفتاة على طلبه بفرح وسرور.

عاشت الفتاة مع الصياد في سعادة كبيرة، وحياة هنيئة، حتى أثمر هذا الزواج بفتى بهي الطلعة وجميل الوجه أسمته "بو وذميم أميمي".

بدأ الفتى يكبر يوما بعد يوم، وكان نور عيني والديه وخاصة أمه، فقد كانت ترى فيه الأمل الذي سيعيد لمّ شملها مع أخيها، وفي يوم من الأيام خرج لكي يلعب مع أقرانه وأصدقائه، فعايروه أن لا أخوال له، وعاد إلى أمه يبكي ويشكي لها ما قاله له رفاقه، فقالت له عندما يعود والدك في المساء اطلب منه أن يأخذنا إلى أخوالك.

وفعلاً طلب "بو وذميم أميمي" من والده أن يأخذه إلى أخواله بعد أن أخبره بما سمعه من أفواه الأولاد.

قرّر الرجل أن يأخذ زوجته وابنه إلى أخواله، ليحقق رغبة ولده، ويجعل أخ زوجته يعلم أن أخته بريئة، فانطلقوا آملين في توطيد العلاقة من جديد، وقبل الوصول إلى البيت أوصت الأم ابنها أن يطلب منها أن تحكي له حكاية قبل النوم، ويصر على عدم النوم حتّى تسرد له قصّة، ولم تنس أخذ القربة معها.

وصلوا إلى بيت أخيها، دقت الفتاة الباب وفتحت الباب الزوجة التي كانت السبب في تشتيت العائلة، وقالت لها الفتاة هل يمكن لكم يا سيدتي أن تجعلونا نبيت عندكم الليلة فقط، وغداً سنغادر، فقالت الزوجة لا يمكنني إدخالك يا سيدتي حتى يعود زوجي من العمل في المساء، وفي انتظار ذلك يمكنكم المكوث في تلك الغرفة خارج البيت.

عاد الزوج إلى البيت، وقالت له زوجته إن هناك عائلة طلبت أن تبيت عندنا الليلة، فقال: أين هم؟ فقالت: هم في الغرفة خارج البيت، ذهب الزوج إلى الغرفة وقام بإدخال ضيوفه إلى البيت وطلب من زوجته تحضير العشاء، وبعد العشاء أراد الابن النوم ولكن قال لأمه: يا أمي احكي لي حكاية، أريد النوم، وأصر على أمه، فقامت بأخذ القربة وبدأت تسرد له قصتها، فانشقت الأرض تحت الأخ وزوجته، وكانت كلما أخرجت ثعباناً ابتلعت الأرض الأخ وزوجته، وهكذا إلى أن أصبحوا سبعة ثعابين، آخر ثعبان أغرق الزوجة تماماً، ولكن أبقى قليلاً من شعر أخيها، فقامت بإخراجه وإنقاذه من الموت، فطلب من أخته الصفح والغفران، فسامحته أخته، وعادت المودة كما كانت، وقامت الفتاة بتزويج أخيها مرّة أخرى من فتاة جميلة وصالحة، وعاشوا كلهم في سعادة وهناء.

ب. أوجه التشابه:

- في كلتا الحكايتين الأخت هي التي تقوم بتربية الإخوة.
- في كلتا الحكايتين الأخت هي التي تطلب من الإخوة الزواج والاستقرار في بيوتهم.

- في كلتا الحكايتين زوجة الأخ هي السبب في كره الإخوة لأختهم.

- في كلتا الحكايتين بيض الأفاعي هي السِّلاح الخفي الذي تستخدمه الزوجة ضد الفتاة.

- في كلتا الحكايتين كان التخلص من الثعابين في بطن الفتاة بنفس الطريقة وجمعت في القربة بعد تيبيسها.

- في كلتا الحكايتين الفتاة بعد زواجها بالذي أنقذها تُنجب طفلاً ذكراً يكون السبب في إعادة المياه إلى مجاريها، وعودة الألفة بين الإخوة.

- في كلتا الحكايتين تقوم الأخت بتزويج إخوتها بعد التخلص من الزوجات الشريرات

- في كلتا الحكايتين، وإن اختلفتا في بعض التفاصيل، فإن المغزى واحد، والنتيجة واحدة، نستخلص منها أن الشر مهما طال حبله فإن مصيره أن ينقطع، ويزول في يوم من الأيام.

ب. أوجه الاختلاف

- في حكاية حبّ حبّ الرّمان العائلة مكونة من سبعة إخوة وأختهم الفتاة و لم يكن لديهم والديهم، أما في حكاية بو وذميم أميمي العائلة مكونة من الصياد و زوجته و ابنتهم.

- عاش الإخوة في حكاية حبّ حبّ الرّمان في جو مضطرب بعد الزواج، أما في حكاية بووذميم أميمي فإن الفتاة و أمها خرجتا من البيت، وعندما حل الظلام اعتلتا الشجرة، و لكن وحوش الغابة تنبهت لهما و قامت بقتل الأم التي وجدوا في أحشائها طفلا صغيرا تربيه الأخت بعد ذلك.

- في حكاية حبّ حبّ الرّمان زوجات الإخوة الستة هن اللواتي افتعلن المكيدة، أما في حكاية بو وذميم أميمي فإن زوجة الأخ الوحيد هي مدبرة المكيدة.

– في حكاية حبّ حبّ الرّمان الإخوة قاموا بدفن أختهم في إسطبل الأحصنة و هي حية ثم أخرجها الملك وخادمه، أما في حكاية بو وذميم أميمي فإن الأخ هو الذي قام بترك أخته في الغابة و قام بإنقاذها عابر سبيل مر من هناك.

– في حكاية حبّ حبّ الرّمان كانت فيها نهاية الزوجات الستة أن قام أزواجهن بربط ضفائرهن إلى ذيول الأحصنة وانطلقت تجر النسوة إلى أن فارقن الحياة وقامت الأخت بتزويج إخوتها الستة مرة أخرى، أما في حكاية "بو وذميم أميمي" فإن نهاية الزوجة هي أنه كلما أخرجت الفتاة ثعباناً من القربة دخلت الزوجة وزوجها في الأرض بعد أن انشقت، وأنقذت أخاها في آخر المطاف.

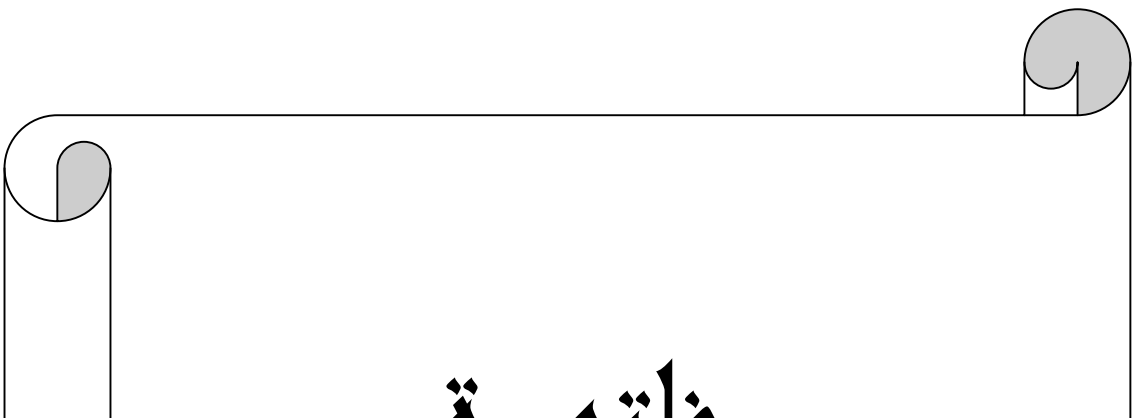

من خلا ل هذا البحث يمكن لنا أن نستخ ج التالية:

– الصورة الأدبية في النثر هي الشكل الأدبي الهيكل الخارجي للرواية أو القصة، وأما الصورة الأدبية في الشعر أو الصورة الشعرية، فإنها تتغيّر وتتبدل باختلاف المدارس النقدية.

– دخلت الصورة الأدبية ميدان الدراسات المقارنة فأصبحت تعني صورة الأنا بالمقارنة مع الآخر، أي كيف ينظر الآخر إلى الأنا، ما الذي يميز واقع عن واقع آخر، لأن الأدب منبثق من المجتمع، وثقافة الشعوب مُعبّر عنها في آدابهم، فهو مرآة عاكسة للمجتمع، لأن الأدب يحمل أفكار ونمط معيشة الشعوب، لذا فإن من يريد أن يتعرف على شعب من الشعوب، فما عليه إلا الاطلاع على أدبه.

– يرى العرب المرأة على شاكلات عدّة، ويحب فيها أشياء كما يذم فيها أشياء، فالعيون الكلحاء والشعر الأسود كظلام الليل والرقبة الطويلة هي ما يحب في شكلها، وذات الحسب والنسب والشرف والعفة هي المتمناة والمختارة، ولم تترك العرب وصفاً جميلاً إلا وألصقوه بها، وربما نجد، في بعض الأحيان، بعض الكلمات الغريبة المنطق إلا أن معناها جميل وينطبق على المرأة التي يريد وصفها.

– تتخذ المرأة أدواراً عديدة في الأسرة الجزائرية، فقد تكون الأخت التي تحافظ على شرف العائلة، والابنة التي تجعل والديها فخورين بها، والزوجة التي يتقلب مزاجها بين امرأة حنونة، وأخرى شريرة، وقد تفعل أي شيء لتحصل على ما تريد، وقد تكون الأم المثالية التي يتمناها أي أحد، فالأم تنسى أو بالأحرى تتغاضى عن الأخطاء التي يرتكبها أبناؤها، فهي الحنونة والعطوفة على عائلتها.

– تتملك المرأة مشاعر وأحاسيس خارجة عن إرادتها ولا يمكنها التحكم فيها، فالغيرة التي تتملكها شعور خارج عن نطاقها، فهي بلا وعي تحاول أن يكون كل من تحبهم مركزين اهتمامهم عليها، ولا يحبون غيرها، لأنه إن حدث وأن قام الزوج بتفضيل أمه أو أخته فإنها تلجأ إلى المكيدة والخديعة للتخلص منهما.

– حاولنا أن نبين من خلال حكاية "حبّ حبّ الرّمان" صورة المرأة في المجتمع الجزائري، فهذه الحكاية قد أفصحت لنا عن نظرة المجتمع للمرأة، لأن الحكاية كانت نموذجاً من النماذج الكثيرة التي كان موضوعها المرأة، والحكاية الشعبية هي موروث ثقافي يعبّر عن أفكار مجتمع من المجتمعات، لذا فإن هذه الحكاية التي بين أيدينا، بمثابة صورة لما كان يؤمن به المجتمع الجزائري، وما كان يراه عندما ينظر إلى المرأة، وهي خلفيته المعرفية عنها.

قائمة المصادر

I. الكتب:

1. المصادر:

- القرآن الكريم
- حجريوة اللويزة، حبّ حبّ الرّمان، 2013/01/12، منطقة خراطة

2. المراجع:

- ابراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، د ط، دار هومة، الجزائر، 2013.
- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب: تهذيب لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.

- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000.
- إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية: عربي- انجليزي – فرنسي ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
- بيير داكو، المرأة : بحث في سيكولوجية الأعماق، تر: وجيه أسعد، ط3، دار المتحدة، دمشق، 1991.
- خليل أبو فرحة، الموسوعة النفسية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000.
- خليل عبد الكريم، العرب والمرأة: حفرية في الإسطير المخيم، ط1، دار الإنتشار العربي، بيروت، 1998.
- دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن، تر، غسان السيد، دط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- رفيق خليل عطوي، صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1986.
- راضي الوقفي، مقدمة في علم النفس، ط3، دار الشروق، الأردن، 2003.
- زينة أحمد، المرأة في التراث العربي: حب، جمال، نعمة، نقمة، لطائف، مكائد، ط1، دار المناهل، لبنان، 1993.
- عبد الحميد بن هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، ط1، دار هومة، الجزائر، 2003.
- عبده عبود، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دط، إتحاد الكتاب العرب، مدشق، 1990.
- عرفان محمد حمّور، المرأة والجمال والحب في لغة العرب، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، 1998.
- محمد مسباعي، صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، دط، دار القصبة للنشر، 2000.
- نبيل فياض، حوارات في قضايا المرأة، التراث، الحرية، ط2، حوران للنشر، سوريا، 1997.

II. المجلات:

- محمد الصادق بسيس، ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات، الأصالة، عدد 6، فيفري- مارس 1977.

فهرس الموضوعات

الإهداء..... 03
مقدمة..... 05
تمهيد..... 09

الفصل الأوّل:

ماهية الصورة الأدبية

1. **تعريف الصورة الأدبية**..... 13
أ. لغة..... 13
ب. اصطلاحا. 14

2. الصورة الأدبية في الأدب..... 15
أ. الصورة في النثر..... 15
ب. الصورة الشّعرية..... 17
3. الصورة الأدبية في الدراسات المقارنة..... 19

الفصل الثاني:

المــرأة من هي؟

1. أوصاف المرأة..... 25
أ. المرأة الجسد..... 26
ب. المرأة الأنثى..... 32
2. المرأة في إطار الأسرة..... 35
أ. الفتاة قبل الزواج..... 35
ب. المرأة الزوجة..... 38
ج. المرأة الأم..... 41
3. غيرة المرأة..... 43
4. أقوال عن المرأة..... 46

الفصل الثالث:

تجلي صورة المرأة في حكاية "حبّ حبّ الرّمان"

1. حكاية حب حب الرّمان..... 49
2. دلالة العنوان "حب حب الرمان"..... 55
3. صورة المرأة في الحكاية..... 57
أ. صورة الأخت..... 57
ب. صورة الزوجة..... 59
ت. صورة الأم..... 62
4. تقاطع حكاية "حبّ حبّ الرّمان" مع حكاية "أبو وذميم أميمي"..... 64
أ. حكاية أبو وذميم أميمي..... 64
ب. أوجه التشابة..... 69
ت. أوجه الاختلاف..... 70

خاتمة..... 72
قائمة المصادر والمراجع..... 75